الفصل الخامس

تاريخ منطقة الرياض منذ منتصف القرن الثالث الهجري حتى قيام إمارة الدرعية سنة ٨٥٠هـ (١٤٤٦م)

إعداد

الدكتور

فهد بن عبدالعزيز الدامغ

قسم التاريخ والحضارة - كلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

obeikan.com

تمهيد:

ما إن حلَّ القرن الثالث الهجري حتى بدأت بوادر الضعف تظهر على الخلافة العباسية، وسرعان ما اشتد هذا الضعف وبلغ ذروته حين تسلط القادة الأتراك على الخلفاء، وبدأ ما عرف في تاريخ الدولة العباسية بعصر نفوذ الأتراك (٢٣٢-٣٣٤هـ/ ٨٤٧-٩٤٦م).[١] وفي هذا العصر شغلت الخلافة بكثير من المشكلات الداخلية، من أبرزها المنافسات بين قادة الأتراك وما نتج عنها، واستهانتهم بالخلفاء مما أضعف هيبتهم في نفوس الناس، وكثرة الفتن والتمردات والثورات التي تغذيها دوافع سياسية أو دينية، وقد أتاح ذلك كله فرصة لاستشراء ما عرف بظاهرة الدول الإقليمية، حيث استغلت بعض القوى تضعضع أوضاع الخلافة، وارتخاء قبضتها على أقاليم الدولة المترامية الأطراف، وبخاصة في بعض المناطق النائية، ونجحت في اقتطاع بعضها والاستقلال به استقلالاً تاماً، أو استقلالاً ذاتياً لم يبق للخلافة فيه سوى نفوذ اسمي يتمثل في إعلان التبعية من خلال الخطبة والسكة فقط.

وكانت بلاد اليمامة التي تعد من أكثر أقاليم الدولة الإسلامية معاناة من العزلة والإهمال، من المناطق التي تأثرت بهذه الظاهرة فظهرت فيها في منتصف القرن الثالث الهجري دولة علوية مستقلة استقلالاً تاماً عن الخلافة العباسية عرفت بالدولة الأخيضرية.

وإذا أردنا التعرف على الأسباب التي أدت إلى قيام هذه الدولة، والعوامل التي ساعدت على استمرارها، وحدود المنطقة التي حكمتها، ومعالم تاريخ الإقليم خلال فترة حكمها، وما حدث بعد زوالها. فإن من المهم أن نشير بإيجاز بادئ ذي بدء إلى أمرين أحدهما: سكان اليمامة وعالية نجد خلال القرن الثالث، والآخر: الأوضاع السياسية بهذه البلاد قبيل قيام الدولة الأخيضرية، وطبيعة صلات أهلها بالخلافة، ونظرة كل من الطرفين للآخر.

وذلك لما لهذين الأمرين من أثر في مسار مجريات الأمور في هذا الإقليم فيما بعد، ولأن الإلمام بهما يساعد في تفسير وتعليل الأحداث التي وقعت في المنطقة والربط بينها، وبخاصة في ظل الشح الشديد في المعلومات عن تاريخ المنطقة في هذه الفترة التي يحيط الغموض كثيراً من معالمها.

---

(١) محمود، حسن أحمد؛ والشريف، أحمد إبراهيم، (١٩٧٧م)، **العالم الإسلامي في العصر العباسي**، دار الفكر العربي، القاهرة، ص٣٢٩.

obeikan.com

المبحث الأول

سكان المنطقة خلال القرن الثالث الهجري والأوضاع السياسية بها قبيل قيام الدولة الأخيضرية

أولاً : سكان المنطقة خلال القرن الثالث الهجري:

منطقة الرياض الحالية -ميدان الدراسة في هذا الكتاب- تشمل كما هو معلوم مساحة واسعة يدخل فيها إقليم اليمامة وما يحاذيه من جهة الغرب من عالية نجد. وهذه البلاد كان يقيم فيها خلال القرن الثالث الهجري عدد كبير من القبائل العربية، وكانت التجمعات السكانية فيها آنذاك تقوم على أساس قبلي، ولذلك سوف نقسم المنطقة حسب منازل القبائل بها، مع ملاحظة أن هناك تداخلات بين منازل القبائل يصعب استقصاؤها من ناحية، ومن ناحية أخرى يؤدي تتبعها إلى الدخول في تفصيلات كثيرة ليس هذا مقام الحديث عنها، وسوف نعتمد في التقسيم على النسبة الغالبة من السكان في مناطق التداخل.

١- شمال اليمامة:

ويشمل منطقة الزليفات (الزلفي)، والفقي (سدير)، والوشم، وأجزاء من قرّان (الشعيب)، وقرقرى (البطين)[١]، أي البلاد الممتدة على حافتي القسم الشمالي من جبل العارض (طويق) من جهتي الشرق والغرب، وكانت تقطن هذه البلاد قبيلة تميم ببطونها الكثيرة.[٢]

وهذه القبيلة كان يغلب عليها طابع الاستقرار وبخاصة بطونها التي تقطن المستوطنات الزراعية في

---

(١) قرقرى سهل واسع يمتد بمحاذاة جبل العارض ويعرف الآن باسم "البطين"، ومن أشهر مدنه وقراه ضرما والبرة (انظر: الأصفهاني، الحسن بن عبدالله، (توفي نحو ٣١٠هـ، ط١٣٨٨هـ)، **بلاد العرب**، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض، ص ٢٤٠ هامش ٣، ص ٢٦٢ هامش ٣).

(٢) المصدر السابق، ص ص٢٥١-٢٦٢، ٢٧٣-٢٧٤.

الأودية المنحدرة من جبل العارض مثل: الغاط، والكلب، وأُشَيَّ، والمياه، والفقي[١]، وذي أراط، والعتك[٢]، والجمل.[٣] ومنهم من كان يمارس الرعي في الدهناء والصمان.[٤]

ومن أبرز مراكز الاستيطان في هذا القسم: زلفة (الزلفي)، وأُشي، وحريم (حرمة)، وجلاجل، وتؤم (التويم)، والروضة، والحائط (حوطة سدير)، وجمّاز (العودة)، وتمير، وأشيقر، والشقراء (شقراء)، ومرأة (مرات)، والقصيبة (القصب)، وثرمداء، وأثيفية.[٥]

٢- وسط اليمامة:

ويشمل المنطقة الممتدة من حدود منازل قبيلة تميم الجنوبية حتى الحدود الشمالية لبلاد فلج (الأفلاج)، وهذه المنطقة تنقسم من حيث الاستيطان إلى قسمين: أحدهما وهو الأكبر يمتد من حدودها الشمالية حتى أقصى جنوب جو الخضارم (الخرج)، وكانت غالبية سكان هذا القسم في القرن الثالث الهجري من قبيلة حنيفة المعروفة ببطونها الكثيرة،[٦] حيث تمتد منازلها من الدهناء شرقاً حتى نفود الوركة (قنيفذة) غرباً، ومن وادي قرّان (الشعيب) شمالاً إلى جنوب بلاد جو الخضارم.[٧]

وبنو حنيفة من القبائل المستقرة، بل لعلها أكثر قبائل المنطقة استقراراً وتحضراً. وأهم مناطق استقرارها وادي العرض (حنيفة)، وهو أهم أودية اليمامة، نظراً لوفرة مياهه وخصوبة تربته، وامتداده الطويل، وكثرة فروعه. إضافة إلى وادي قُرَّان، ووتر (صلبوخ)، والوتر (البطحاء)، والسلّي.[٨] ومنطقة جو الخضارم التي يلتقي فيها عدد من الأودية وتتوافر فيها العيون.[٩]

---

(١) المصدر السابق، ص ص٢٦٠-٢٦٣.

(٢) الهمداني، الحسن بن أحمد، (ت٣٤٤هـ، ط١٩٨٣م)، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ط٣، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء؛ ودار الآداب، بيروت، ص٢٥٥.

(٣) الأصفهاني، الحسن بن عبدالله، (توفي نحو ٣١٠هـ، ط١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص٢٧٣.

(٤) المصدر السابق، ص ص٢٧٧-٢٧٨.

(٥) المصدر السابق، ص ص٢٦٢، ٢٧٣-٢٧٤.

(٦) الهمداني، الحسن بن أحمد، (ت٣٤٤هـ، ط١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص ص٢٧٤-٢٧٥.

(٧) ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، **تاريخ اليمامة**، ج١، مطابع الفرزدق، الرياض، ص٥٩.

(٨) المرجع السابق، ص ص٦٠، ٧٢، ٨٠، ٩٦.

(٩) ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، **معجم اليمامة**، ج١، مطابع الفرزدق، الرياض، ص٣٧١.

ومن أبرز مناطق الاستيطان في هذا القسم قُرّان (القرينة)، والهدّار، وأباض، وملهم، والغبراء، وحَجْر (الرياض)، وهي قصبة إقليم اليمامة كله ومركزه قبل قيام الدولة الأخيضرية، ومنفوحة، والكرش، والخضرمة،[١] وهي عاصمة الأخيضريين ومركز إمارتهم، والسيوح، والمعلاة، والملحاء.[٢]

أما القسم الثاني فيقع إلى الجنوب الغربي من جو الخضارم، حيث تنتهي منازل بني حنيفة، ويمتد إلى شمال الأفلاج، وكانت هذه البلاد تعرف بالمجازة.[٣] وكانت تقطنها بطون من ثلاث قبائل هي: بنو النمر بن قاسط من ربيعة، وبنو هزّان من عنزة، وبنو جرم من قضاعة القحطانية.[٤]

وسكان هذه البلاد يغلب عليهم طابع الاستقرار في الأودية والمستوطنات الزراعية الموجودة بها، مثل وادي نعام، وبرك، والمجازة. ومن أبرز مراكز الاستيطان بها: بلدة المجازة، وأجلة، وماوان، ونعام.[٥]

٢- جنوب اليمامة:

وهي بلاد واسعة تمتد من وسط اليمامة حتى رمال الجزء (الربع الخالي)، وتشمل منطقة فلج (الأفلاج)، وعقيق اليمامة أو عقيق عُقَيل (وادي الدواسر والسليل).

وكان أغلب سكان هذه المنطقة من قبائل بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة المضرية، ببطونها الأربعة الكبار، بنو قشير، وبنو جعدة، وبنو الحريش، وبنو عُقَيل.

---

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد، (ت٣٤٤هـ، ط١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص ص٢٧٤-٢٧٦.

(٢) الحموي، ياقوت، (ت٦٢٦هـ، ط١٣٦٧هـ)، **معجم البلدان**، دار إحياء التراث، بيروت، ج٣، ص٣٠١؛ ج٥، ص ص١٥٨، ١٩٠.

(٣) الهمداني، الحسن بن أحمد، (ت٣٤٤هـ، ط١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص٢٦٤؛ والأصفهاني، الحسن بن عبدالله، (توفي نحو ٣١٠هـ، ط١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص٢٢٨. وهي تشمل محافظتي حوطة بني تميم والحريق.

(٤) المصدر السابق، ص٢٧٦.

(٥) المصدر السابق، ص ص٢٧٣-٢٧٥؛ والأصفهاني، الحسن بن عبدالله، (توفي نحو ٣١٠هـ، ط١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص٢٢٨.

وكان لبني جعدة القسم الأكبر من منطقة الأفلاج، يليهم بنو قشير ثم قسم صغير لبني الحريش.[١] ولكل من هذه البطون امتداد في مناطق مجاورة، فبنو جعدة كانت مراعيهم في صحراء البياض الممتدة بين الأفلاج ويبرين، ويشاركهم فيها بنو قشير،[٢] ولبني قشير أيضاً امتداد كبير من الجهة الغربية فيما يلي الأفلاج من بلاد عالية نجد، ولبني الحريش أيضاً امتداد في الأجزاء الوسطى والجنوبية من عالية نجد.[٣]

أما بنو عُقيل فكانوا يسكنون فيما كان يعرف بعقيق اليمامة، أو عقيق عقيل نسبة إليهم، وهي منطقة واسعة تمثل أقصى جنوب اليمامة وتمتد ديارهم إلى جنوب عالية نجد أيضاً.[٤]

أما عن طبيعة سكان هذا القسم من بلاد اليمامة من حيث الاستقرار والبداوة فيلاحظ أن نسبة كبيرة من بني جعدة وبني قشير كانت مستقرة في مستوطنات زراعية في أودية الأفلاج، مثل وادي الهدّار، والغيل، وإلى جانب السيوح الجارية من العيون. ومن أبرز المستوطنات في بلاد الأفلاج: مدينة الهيصمية، والمذراع، والزرنوق، والغيل، وأكمة، وصداء. أما من يغلب عليهم طابع البداوة من بني جعدة وقشير والحريش فكانوا يرعون مواشيهم في صحراء البياض، وعالية نجد.[٥]

أما بنو عقيل سكان عقيق اليمامة فيبدو أن نسبة البداوة فيهم كانت كبيرة، وكانوا يمارسون الرعي في حواف رمال الجزء (الربع الخالي) وفي البوادي جنوب اليمامة وجنوب عالية نجد. ومنهم فروع مستقرة في مستوطنات زراعية في وادي العقيق مثل: العقيق، وتمرة، والحليقة.[٦]

٤- عالية نجد:

وهي بلاد واسعة تمثل الشق الغربي من إقليم نجد، ويقع قسم كبير منها ضمن منطقة الرياض

(١) الهمداني، الحسن بن أحمد، (ت٣٤٤هـ، ط١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص٢٧٢.

(٢) الأصفهاني، الحسن بن عبدالله، (توفي نحو ٣١٠هـ، ط١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص٢٢٣.

(٣) المصدر السابق، ص ص٢٣٢-٢٣٥.

(٤) الحموي، ياقوت، (ت٦٢٦هـ، ط١٣٦٧هـ)، مصدر سابق، ج٤، ص ص١٣٨-١٣٩.

(٥) الأصفهاني، الحسن بن عبدالله، (توفي نحو ٣١٠هـ، ط١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص ص٢٢٢-٢٢٧؛ والهمداني، الحسن بن أحمد، (ت٣٤٤هـ، ط١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص ص٢٧٢-٢٧٣.

(٦) الهمداني، الحسن بن أحمد، (ت٣٤٤هـ، ط١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص٢٦٥.

الإدارية حالياً، وتشمل محافظات الدوادمي، والقويعية، وعفيف، ووادي الدواسر.[١] وكان يقطن هذا القسم في القرن الثالث الهجري عدد من القبائل يغلب على أكثرها طابع البداوة ومنها:

أ- بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة: وهم من قيس عيلان من مضر، وكانت هذه القبيلة تسيطر خلال القرن الثالث الهجري على قطاع واسع من عالية نجد يمتد من وسط العالية حتى حدودها الغربية مع بلاد الحجاز. وتنقسم هذه القبيلة إلى عدة فروع أهمها:

- **بنو أبي بكر بن كلاب:** وهم أكبر فروع القبيلة، وأكثرهم عدداً، وأوسعهم ديارا، وقد ذكر الأصفهاني معلومات كثيرة تتعلق بوصف ديارهم وبيان مياههم ومواردهم ومنازلهم.[٢]

- **بنو عمرو بن كلاب:** وهم يلون سابقيهم من حيث سعة ديارهم وكثرة عددهم، ويشابهونهم في غلبة طابع البداوة عليهم، وتتركز منازلهم في أواسط عالية نجد إلى الشرق والشمال الشرقي من منازل بني أبي بكر.[٣]

- **بنو جعفر بن كلاب:** ومنازلهم تقع إلى الشمال من منازل الفرعين السابقين بني أبي بكر وبني عمرو،[٤] وهم كسائر فروع قبيلة بني كلاب يغلب عليهم طابع البداوة، ويمارس أكثرهم الرعي في مراعي عالية نجد.[٥] وهناك فروع أخرى لبني كلاب أصغر من هذه أشار إليها الأصفهاني والهمداني وياقوت الحموي في حديثهم عن بلاد عالية نجد.

ب- بنو نمير بن عامر بن صعصعة: وهم من قيس عيلان ثم من مضر أيضاً. ومنازلهم تتركز في الجزء الأوسط من شمال عالية نجد،[٦] مما يلي بلاد الوشم وقرقرى (البطين) وتمتد حتى صحراء الشُّرَيْف

---

(١) ابن جنيدل، سعد بن عبدالله، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، **عالية نجد**، ج١، دار اليمامة، الرياض، ص١٧.

(٢) الأصفهاني، الحسن بن عبدالله، (توفي نحو ٣١٠هـ، ط١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص ص١٢٨-١٧٠.

(٣) المصدر السابق، ص ص١٢٦-١٤٦.

(٤) الأصفهاني، الحسن بن عبدالله، (توفي نحو ٣١٠هـ، ط١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص ص٩٢-١١٢؛ ٣٩٣-٣٩٤.

(٥) مثل: الشُّرَيْف والشرف وحقيل والمطالي وغملي.

(٦) الأصفهاني، الحسن بن عبدالله، (توفي نحو ٣١٠هـ، ط١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص ص٣٦٧-٣٧٠.

التي تعد من أفضل مراعي عالية نجد، ومن يسكنون العالية منهم يغلب عليهم طابع البداوة، ومنهم بطون مستقرة في غربي اليمامة في إقليمي: الوشم، وقرقرى تشارك بني تميم وحنيفة سكنى هذين الإقليمين.[١]

ج- بنو باهلة: وهم بنو مالك بن أعصر بن سعد من قيس عيلان من مضر، وباهلة أمهم نسبوا إليها وعرفوا بها.[٢] ومنازلهم في أقصى الجزء الشرقي من عالية نجد، ومركزها وبحبوحة بلادها فيما كان يعرف بسواد باهلة أو عرض شمام،[٣] وهي سلسلة جبال تمتد من الشمال إلى الجنوب وينحدر منها عدد من الأودية.

وباهلة هي أكثر قبائل عالية نجد تحضراً واستقراراً، فقد كان غالب أفرادها يقيمون في مستوطنات زراعية مثل: سخين، وسخنة، ومريفق، وعسيان، وواسط، والثريا، والجوزاء. أو مستوطنات يعمل من يقيم فيها في مجال التعدين مثل: شمام وهو معدن فضة ونحاس، والعوسجة وهي معدن فضة، والثنية وهي معدن ذهب.[٤] ومع أن باهلة كانت قبيلة صغيرة ومتحضرة وتحيط بها قبائل قوية يغلب عليها طابع البداوة مثل بني كلاب وبني نمير إلا أنها استطاعت البقاء في ديارها والدفاع عنها، ساعدها في ذلك حصانة بلادها.[٥] (شكل: ٢-٥-١).

تلك أبرز القبائل التي كانت تقطن اليمامة والأجزاء الوسطى والجنوبية من عالية نجد (منطقة الرياض حالياً) في القرن الثالث الهجري، وهذا لا يعني أن تلك القبائل لا توجد لها امتدادات خارج المنطقة، بل بعضها لها امتدادات ومنازل واسعة خارج منطقة الدراسة مثل بني تميم وبني كلاب، كما أنه لا يعني أن

---

(١) الحربي، إبراهيم بن إسحق، (ت٢٨٥هـ، ط١٩٨١م)، **كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ص ص٦١٥-٦١٦؛ الهمداني، الحسن بن أحمد، (ت٣٤٤هـ، ط١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص٢٧٦.

(٢) ابن حزم، محمد بن علي بن أحمد، (ت٤٥٦هـ، ط١٩٧٧م)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ص٢٤٥.

(٣) الجاسر، حمد، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، **باهلة القبيلة المفترى عليها**، دار اليمامة، الرياض، ص ص١٠٩، ١٨٣. وتعرف الآن بجبال العرض، أو عرض القويعية.

(٤) الهمداني، الحسن بن أحمد، (ت٣٤٤هـ، ط١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص ص٢٦١-٢٦٣؛ والجاسر، حمد، (١٤١٠هـ، ١٩٩٠م)، مرجع سابق، ص ص١٨٨-١٩٩.

(٥) الجاسر، حمد، (١٤١٠هـ، ١٩٩٠م)، مرجع سابق، ص ص٢٩-٣٠.

القبيلة لا يخالطها غيرها في مناطق سكناها، ولا ينفي وجود امتدادات لقبائل أخرى مراكز استيطانها خارج منطقة الدراسة ولها بطون تقطن مواقع داخل المنطقة.

ولعل مما يلاحظ من خلال العرض السابق أيضاً أن قبائل بلاد اليمامة وعالية نجد في ذلك العصر كانت كلها عدنانية ماعدا قبيلة جرم فهي قحطانية. ومن حيث طبيعة الحياة الاجتماعية يلاحظ أن قبائل عالية نجد يغلب عليها طابع البداوة وعدم الاستقرار، وفي المقابل كانت القبائل التي تقطن اليمامة يغلب على معظمها الميل إلى الاستقرار والحياة الريفية المتحضرة.

وخلاصة القول أن ما ذكرناه هو صورة تقريبية مجملة لسكان المنطقة من خلال ما ورد في عدد من المصادر وبخاصة ما ذكره الأصفهاني في كتاب "بلاد العرب" والهمداني في كتاب "صفة جزيرة العرب" وهما معاصران لتلك الفترة.

obeikan.com

شكل (٢-٥-١) سكان منطقة الرياض خلال القرن الثالث الهجري

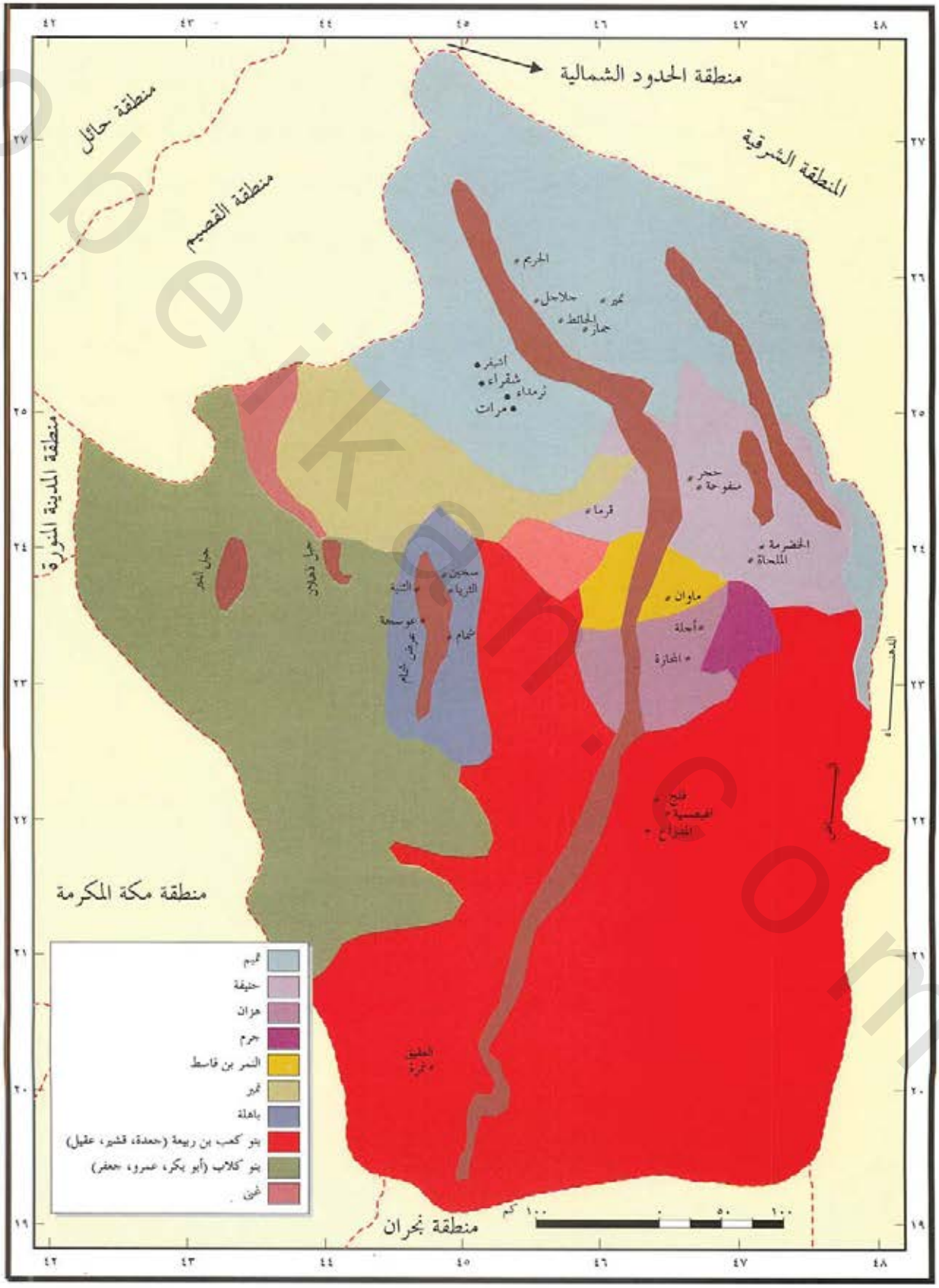

ثانياً : الأوضاع السياسية ببلاد اليمامة قبيل قيام الدولة الأخيضرية:

عانت أقاليم الجزيرة العربية بعامة من الإهمال والعزلة منذ أن انتقل مركز الخلافة من هذه البلاد، وقد اختلفت درجة هذه المعاناة من إقليم لآخر، وكانت بلاد نجد أو ما يعرف في تنظيمات الدولة الإسلامية في عصري الدولتين الأموية والعباسية بولاية اليمامة أكثر أقاليم الجزيرة معاناة من الإهمال والعزلة. ويبدو أن عدم أهمية هذه الولاية من الناحية الاقتصادية، وبعدها وانعزالها كان من أسباب عدم العناية بها.(١)

أما سكان هذه البلاد فقد أشرنا من قبل إلى أن صفة البداوة كانت تغلب على نسبة كبيرة منهم، وكانت طبيعة حياتهم الاجتماعية تقوم على أساس قبلي، ومن المعلوم أن من سمات من تغلب عليهم هذه الصفة الرغبة في عدم الانضباط والنزوع إلى التمرد على الأنظمة والسلطة.(٢)

ولو أردنا إعطاء صورة لطبيعة النظرة المتبادلة بين السلطة المركزية المتمثلة في الخلافة، وأهل هذه المنطقة، لوجدنا أن الخلافة تنظر إلى هذه البلاد على أنها بلاد فقيرة قليلة الموارد لا تفي مواردها باليسير مما يتطلبه أمر الحفاظ على الأمن والاستقرار في ربوعها الواسعة، وإصلاح أحوال أهلها. وتنظر إلى أهلها بأنهم أهل جفاء وتمرد. ومن هنا كان ينظر إليها على أنها ولاية ثانوية،(٣) ولم يكن يراعى -في كثير من الأحيان- فيمن يسند إليه أمرها أن يكون على قدر كبير من الكفاءة والمقدرة وحسن التصرف، بل يختار لها في أحيان كثيرة من يتصف بالشدة بغرض إخضاع أهلها لنفوذ الحكم المركزي مهما صاحب ذلك من عنت وقسوة وشدة في التعامل من قبل بعض الولاة، أو بعض من كانوا يتولون جباية الزكاة من القبائل البدوية.(٤)

ويضاف إلى ما سبق أن الدولة لم تول عناية واهتماماً بأمور هذه البلاد ومصالح أهلها بما من شأنه أن

---

(١) الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، الدولة الأخيضرية، **مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص٤٦١.

(٢) الجاسر، حمد، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، **ابن عربي موطد الحكم الأموي في نجد**، الرياض، ص١٤.

(٣) الحديثي، نزار عبداللطيف، (١٩٧٨م)، اليمامة في الإدارة العربية، **مجلة كلية الآداب**، جامعة بغداد، عدد ٢٢، ص٢٨٧.

(٤) الجاسر، حمد، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، مرجع سابق، ص ص٢١-٢٥.

يحدث تغيراً في حياتهم، وبالتالي يزرع في قلوبهم الولاء، كل ذلك كان له أثره في نظرتهم للسلطة المركزية وطبيعة علاقتهم بها.

فإذا كانوا قد خضعوا لسلطة الدولة في فترات قوتها واستقرارها فإن الأمر يختلف تماماً في فترات الضعف والاضطراب إذ سرعان ما يظهر ميل عند بعض سكان هذه البلاد وبخاصة من تغلب عليهم صفة البداوة إلى التمرد والإخلال بالأمن والجنوح إلى الفوضى كلما وجدوا فرصة لذلك. كما يلاحظ وجود ميل لديهم إلى مساندة الثائرين على السلطة المركزية سواء كانوا من العلويين أو غيرهم، تعبيراً عن سخطهم من ناحية، ورغبة في الحصول على المكاسب المادية من ناحية أخرى.

ولعل قرار الخليفة العباسي المعتصم (٢١٨-٢٢٧هـ/ ٨٣٣-٨٤٢م) إسقاط كثير من العرب من ديوان الجند وإحلال الأتراك محلهم كان له أيضاً أثر سلبي على علاقة القبائل البدوية بالسلطة المركزية، فقد عاد بعض أفراد هذه القبائل إلى مواطنهم الأصلية في بلاد نجد بعد أن فقدوا مصدر رزقهم وهم يحملون ضغناً على تلك السلطة.(١)

وإذا كانت علاقة بعض أهل هذه البلاد بالسلطة المركزية في مطلع القرن الثالث الهجري يشوبها التوتر في بعض الأحيان وينعكس هذا الأمر سلباً على الأوضاع السياسية والأمنية فيها، فإن العلاقات بين السكان أنفسهم لم تكن جيدة هي الأخرى مما زاد الأمر سوءاً.

لقد كان التنافس على المراعي وموارد المياه وغيرها يؤدي إلى التنافر والعداء، ويتطور أحياناً إلى مناوشات وحروب، ليس فقط بين قبيلة وأخرى مجاورة، بل أحياناً بين فروع القبيلة نفسها.(٢)

ثم هناك أمر آخر يدركه من ينعم النظر في طبيعة العلاقات بين سكان المنطقة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، هذا الأمر هو وجود توتر في العلاقات بين القبائل التي يغلب عليها طابع التحضر والاستقرار والقبائل التي يغلب عليها طابع البداوة. فقد كانت الأولى وهي الأكثر ميلاً لحب الاستقرار والهدوء، والأكثر قبولاً للخضوع للسلطة المركزية، تعاني من الثانية التي تجنح إلى الفوضى والتمرد كلما وجدت ظروفاً مناسبة.

---

(١) الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، مرجع سابق، ص٤٦١.

(٢) الوشمي، صالح بن سليمان، (١٤١٢هـ)، **ولاية اليمامة، دراسة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض، ص٥٠.

ولعل تمرد القبائل البدوية في الحجاز وعالية نجد وأطراف اليمامة خلال الفترة من سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م حتى ٢٣٢هـ/ ٨٤٧م يعد أبلغ دليل على سوء الأوضاع السياسية والأمنية واضطرابها في هذه البلاد خلال النصف الأول من القرن الثالث الهجري.

وقد أفاض المؤرخون في ذكر أخبار هذا التمرد وكيف تم التصدي له والقضاء عليه، وخلاصة ما ذكروه أن قبائل بني سُليم، وبني هلال، وفزارة التي كانت تقطن حول المدينة المنورة وفي الجزء الشمالي من عالية نجد تطاولوا على الناس بالشر وعاثوا في الأرض فساداً، فأصبحوا يتعدون على أسواق بعض البلاد، ويمارسون السلب والنهب وقطع الطريق، وبخاصة بعد أن تمكنوا من إلحاق الهزيمة بوالي المدينة والقوة التي أُرسلت من بغداد لمساندته.[١] ثم ما لبث هذا التمرد أن امتد إلى قبائل بني كلاب في وسط عالية نجد، وقبائل بني نمير في شرقي العالية وأطراف اليمامة،[٢] وبهذا أصبح جزء كبير من وسط الجزيرة العربية يعاني من هذا التمرد.

حينئذ أدرك الخليفة العباسي الواثق (٢٢٧-٢٣٢هـ/ ٨٤٢-٨٤٧م) خطورة الأمر، ورأى ضرورة التصدي له بحزم وقوة، وأسند هذه المهمة إلى أحد أبرز قادته وهو بغا الكبير أبو موسى.

توجه بغا على رأس جيش قوي إلى المدينة المنورة في سنة ٢٣٠هـ/ ٨٤٥م، وتمكن من إلحاق الهزيمة ببني سُليم وأسْرِ أعداد كبيرة منهم ومن المتعاونين معهم من بني هلال وفزارة.[٣] وبعد نجاحه في إخضاع القبائل التي حول المدينة توجه إلى بني كلاب في وسط عالية نجد ووصل إلى ضريّة،[٤] فأعلن بنو كلاب الخضوع والعودة إلى الطاعة، فقبض بغا على نحو ألف وثلاثمائة رجل منهم ممن نسب إليهم المشاركة في الفساد وعاد بهم إلى المدينة حيث أودعهم السجن هناك.[٥]

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، (٣١٠هـ، ط١٩٧٩م)، **تاريخ الأمم والملوك**، ج١١، دار القلم، بيروت، ص١٢.

(٢) المصدر السابق، ج١١، ص ص١٥، ٢١.

(٣) ابن الأثير، علي بن محمد، (ت٦٣٠هـ، ط١٩٧٩م)، **الكامل في التاريخ**، ج٧، دار صادر، بيروت، ص ص١٢-١٣.

(٤) ضريّة؛ قرية في عالية نجد على طريق مكة من البصرة وحولها حمى ضريّة المشهور. (الحموي، ياقوت، (ت٦٢٦هـ، ط١٣٦٧هـ)، مصدر سابق، ص٤٥٧).

(٥) الطبري، محمد بن جرير، (٣١٠هـ، ط١٩٧٩م)، مصدر سابق، ج١١، ص١٥.

وفي تلك الأثناء كان بنو نمير يعيثون فساداً في شرقي عالية نجد وما يليه من بلاد اليمامة، وكان الشاعر اليمامي عمارة بن عقيل بن جرير (الشاعر) التميمي قد توجه إلى الخليفة الواثق، فلما دخل عليه أنشده قصيدة مدحه بها، ثم أخبره بأوضاع بلاده وما تعانيه من قبيلة بني نمير المتمردة.(١)

فكتب الخليفة إثر ذلك إلى قائده بغا يأمره بالتوجه لإخضاع بني نمير، وسار بغا بقواته من المدينة نحو اليمامة في مطلع سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م وكانت أول مواجهة له مع جماعة من بني نمير في موضع يدعى الشُّرَيْف بعالية نجد حيث تمكن من هزيمتهم، وقتل منهم أكثر من خمسين رجلاً وأسر آخرين. ثم واصل سيره حتى نزل ببلدة مرأة (مرات) المعروفة بإقليم الوشم وكان أهلها آنذاك من بني تميم.(٢)

ومن هناك أخذ بغا يرسل الرسل إلى بني نمير يطلب منهم العودة إلى طاعة الخلافة ويعرض عليهم الأمان مقابل ذلك، لكنهم كانوا يرفضون عروض بغا ويسيئون إلى رسله، حتى بلغ الأمر حد قتل أحد رسله وجرح الآخر. حينئذ قرر بغا مواجهتهم وتوجه لقتالهم.(٣)

وفي الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٧م دارت بين الطرفين معركة كبيرة في موضع يدعى روضة الأمان قرب بلدة أضاخ،(٤) وكادت أن تحل الهزيمة ببغا وقواته في أول الأمر إلا أن الدائرة دارت على بني نمير فهزموا هزيمة ساحقة وقتل منهم زهاء ألف وخمسمائة رجل وفر من نجا منهم.(٥)

بعد هذه الهزيمة أعلن بعض بني نمير الطاعة، وأرسلوا إلى بغا يطلبون الأمان، فأعطاهم الأمان، أما من استمر في تمرده فقد بعث سرايا تتعقبهم، وساعده في ذلك وصول مدد إليه من العراق يبلغ نحو سبعمائة رجل. ويلاحظ أن بغا نزل في هذه الفترة بحصن باهلة واتخذه مركزاً تنطلق منه سراياه لتعقب المتمردين.(٦)

---

(١) المصدر السابق، ج١١، ص٢١.

(٢) المصدر السابق، ج١١، ص٢١.

(٣) المصدر السابق، ج١١، ص٢١.

(٤) أضاخ؛ بلدة لا تزال عامرة تقع بين الشقيقة ونفي. (ابن بليهد، محمد بن عبدالله، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار**، ج١، ص ص٦٨-٦٩).

(٥) ابن الأثير، علي بن محمد، (ت٦٣٠هـ، ط١٩٧٩م)، مصدر سابق، ج٧، ص ص٢٧-٢٨.

(٦) الطبري، محمد بن جرير، (٣١٠هـ، ط١٩٧٩م)، مصدر سابق، ج١١، ص٢٣.

ونزوله أولاً في بلدة مرأة (مرات) وهي من ديار بني تميم، ثم في حصن باهلة، وقبل ذلك استنجاد الشاعر اليمامي عمارة بن عقيل بالخليفة الواثق، كل ذلك يدل على أن القبائل المتحضرة في اليمامة وعالية نجد مثل تميم وباهلة كانت ملتزمة بالطاعة للخلافة، بل كانت تقدم العون لقوات الخلافة في مواجهة المتمردين.

أقام بغا في بلاد نجد نحو سنة نجح خلالها في القضاء على تمرد الأعراب وأسفرت عملياته خلال تلك الفترة عن أسر نحو ثمانمائة رجل جُلّهم من بني نمير، وبعد أن اطمأن على استقرار الأوضاع توجه نحو البصرة في طريقه إلى سامراء عاصمة الخلافة آنذاك، وبصحبته من وقع في يده من الأسرى، وكتب إلى والي المدينة أن يتوجه بمن عنده من الأسرى من بني سليم وكلاب وغيرهم إلى العراق، فالتقيا في بغداد، وكان جملة عدد الأسرى الذين وصلوا إلى العراق نحو ألفين ومائتين سوى من مات منهم في الطريق أو هرب.[١]

ويبدو أن ثورة الأعراب هذه أدت إلى نوع من الاهتمام بهذه البلاد في تلك الفترة، فقد أسندت ولاية اليمامة في سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٦م إلى إسحاق بن أبي خميصة،[٢] وهو من أهل أضاخ، ولم تشر المصادر إلى مشاركة للوالي الجديد في قمع التمرد، لكنها أوردت إشارات تدل على أنه كان يقيم في اليمامة، وأنه قام ببعض الأعمال العمرانية ومنها إنشاء جامع في عقرباء.[٣]

ولا شك أن نجاح حملة بغا مهد السبيل لإسحاق بن أبي خميصة وساعده في السيطرة على مقاليد الأمور في أرجاء هذه البلاد الواسعة ونشر الأمن فيها، وهذا ما كانت تفتقده منذ أزمان طويلة، وقد عبَّر أحد الشعراء عن هذا الأمر في قصيدة مدح بها ابن أبي خميصة وجاء فيها:

---

(١) المصدر السابق، ج١١، ص ص٢٣-٢٤.

(٢) هكذا ورد عند الطبري (ج١١، ص١٨)، ويرى حمد الجاسر اعتماداً على نسخة من كتاب النوادر للهجري أن الصواب ابن أبي حميضة، تصغير حمضة (انظر: الجاسر، حمد، (ب١٣٨٦هـ)، اسحاق بن أبي حميضة، **مجلة العرب**، المجلد الأول، السنة الأولى، ص٣٩٨).

(٣) الجاسر، حمد، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، مرجع سابق، ص ص٢٣-٢٤. وعقرباء بلدة باليمامة وقعت بها معركة بين خالد بن الوليد ومسيلمة الكذاب. (الحموي، ياقوت، (ت٦٢٦هـ، ط١٣٦٧هـ)، مصدر سابق، ج٤، ص١٣٥).

أمنا -بحمد الله- من بعد خوفنا ... وزدنا: فمنا معزب ومريح

ونمنا وما كنا ننام وأطلقت ... حمائل من أعناقنا وصفيح

فإن ترتحل يحنُ نجدٌ وأهله ... وإلا فنجد ما أقمت مليح

وحق لنجد أن تحن ولم يبت ... يثن بنجد مذ وليت جريح[1]

بيد أن هذا التحسن في الأوضاع الأمنية ببلاد اليمامة كان آنياً، إذ ما لبث الإقليم أن عاد إلى دائرة الإهمال والعزلة، وبالتالي ضعف أثر السلطة المركزية فيه، ورغم أن المصادر ذكرت أن ولاية اليمامة أسندت في سنة ٢٣٦هـ/ ٨٥٠م إلى محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب مع ولاية البحرين وطريق مكة، وفي سنة ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م أسندت إلى محمد بن عبدالله بن طاهر مع العراق والحرمين، وفي سنة ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م إلى محمد بن عون مع البصرة والبحرين[2] إلا أن ولاية هؤلاء لليمامة -فيما يبدو- كانت ولاية صورية، فأي منهم لم يقم باليمامة ولم تحظ منه أو من الإدارة المركزية باهتمام يذكر، وبخاصة في ظل الضعف الشديد الذي حل بالخلافة العباسية بعد عصر الواثق.

(١) الجاسر، حمد، (ب١٣٨٦هـ) مرجع سابق، ص ص٤٠٢، ٤٠٧.

(٢) الوشمي، صالح بن سليمان، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ص١١٧.

Obeikan.com

المبحث الثاني
قيام الدولة الأخيضرية وفترات حكمها

أولاً: أصل الأخيضريين وظهورهم بالحجاز:

الأخيضريون علويون من بني الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما،[١] وموطنهم الأصلي بلاد الحجاز، وقد اشتهر منهم محمد بن يوسف بن إبراهيم بن موسى (الجون) بن عبدالله (المحض) بن الحسن (المثنى) بن الحسن (السبط) بن علي بن أبي طالب. وكان يلقب بالأخيضر الصغير وقد فرّ إلى اليمامة وأقام دولة بها عرفت بالدولة الأخيضرية.

ويلاحظ أن لقب الأخيضر أطلق أولاً على يوسف بن إبراهيم والد محمد صاحب اليمامة، كما أنه أطلق على محمد نفسه، فقد ذكر ابن عنبة أن يوسف كان يعرف بالأخيضر، وأن ابنه أبا عبدالله محمد صاحب اليمامة يعرف بالأخيضر الصغير.[٢] إلا أن هذا اللقب ارتبط بالابن أكثر من أبيه بسبب شهرته وتمكنه من إقامة دولة له ولعقبه في بلاد اليمامة نسبت إليه.

أما عن سبب إطلاق لقب الأخيضر على يوسف ثم على ابنه محمد فلم تذكر كتب الأنساب أو غيرها من المصادر التاريخية بياناً لذلك. ولعلها تصغير لكلمة أخضر، وقد جاء في لسان العرب لابن منظور: يقال للأسود أخضر، والخضرة في ألوان الناس السمرة، والخضر قبيلة من العرب سموا بذلك لخضرة ألوانهم.[٣] وبناءً عليه يمكن أن يكون يوسف بن إبراهيم لقب بالأخيضر لأن لون بشرته يميل إلى السمرة وكذلك ابنه محمد (الأخيضر الصغير).

أما عن بداية ظهور الأخيضريين على مسرح الأحداث السياسية فقد كان في بلاد الحجاز سنة

---

(١) ابن حزم، محمد بن علي بن أحمد، (ت٤٥٦هـ، ط١٩٧٧م)، مصدر سابق، ص٤٦. وقد ذكر عمر رضا كحالة (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) أنهم بطن من بني الحسين بن علي وهذا غير صحيح. (معجم القبائل العربية، ج١، ص١٢).

(٢) ابن عنبة الحسني، أحمد بن علي، (ت٨٢٨هـ، ط د. ت)، **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب**، ضمن مجموعة الرسائل الكمالية، مكتبة المعارف، الطائف، ص٢١٣.

(٣) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت٧١١هـ، ط د. ت)، **لسان العرب**، ج٤، دار صادر، بيروت، ص ص٢٤٤-٢٤٥.

٢٥١هـ/ ٨٦٢م حين تزعم إسماعيل بن يوسف (الأخيضر) ثورة ضد الدولة العباسية، وهاجم مكة فاضطر أميرها آنذاك جعفر بن عيسى بن موسى العباسي إلى الهرب وتمكن إسماعيل، بعد أن قتل بعض جند الأمير ومن ساعدهم، من نهب دار الإمارة ومنازل أعوان الأمير، واستولى على أموال كانت قد أرسلت من قبل الخلافة إلى مكة لإجراء إصلاحات بعين زبيدة، ولم يكتف بذلك بل استولى على ما كان في الكعبة وما في خزائن الحرم من الذهب والفضة وكسوة الكعبة، وأخذ من الناس نحو مائتي ألف دينار، وخطب لنفسه بالمسجد الحرام.(١)

بقي إسماعيل وأتباعه بمكة نحو خمسين يوماً، عاثوا خلالها فساداً في مكة، نهباً وقتلاً وحرقاً، ثم خرجوا منها وتوجهوا نحو المدينة النبوية، وبسبب ما أظهره إسماعيل من ظلم وقسوة وجرأة على سفك الدماء لقب بالسفاك. وكانت أخبار أفعاله تلك قد بلغت المدينة فأحدثت عند أهلها فزعاً وغضباً، وبخاصة بعد أن قرر أميرها وحاشيته الهرب خوفاً من السفاك.(٢)

أما أهل المدينة فقد قرروا المقاومة والصمود، فحصنوا مدينتهم واستعدوا للدفاع عنها. وعندما وصل السفاك فرض حصاراً على المدينة وأخذ في مهاجمتها، وقد أظهر أهلها صموداً وبسالة، ونجحوا في صد المهاجمين رغم ما نالهم من عناء.(٣)

عاد السفاك إلى مكة لكن أهلها قرروا مقاومته هذه المرة بعد ما نالهم من عناء حين دخل السفاك وأتباعه مكة في المرة السابقة، وشجعهم على ذلك نجاح أهل المدينة في صده.

فرض السفاك حصاراً على مكة استمر نحو شهرين نال أهلها منه عناء وبلاء عظيمين، ومات بسببه بعض أهل مكة جوعاً وعطشاً، وبعد أن عجز عن اقتحام مكة توجه إلى جدة واستولى على ما فيها من أموال التجار وبضائعهم.(٤)

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، (٣١٠هـ، ط١٩٧٩م)، مصدر سابق، ج١١، ص ص١٣٦-١٣٧.

(٢) الفاسي، محمد بن أحمد، (ت٨٣٢هـ، ط١٩٦٤م)، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة السُّنّة المحمدية، القاهرة، ج٣، ص٣١٢.

(٣) ابن حزم، محمد بن علي بن أحمد، (ت٤٥٦هـ، ط١٩٧٧م)، مصدر سابق، ص٤٦؛ بدر، عبدالباسط، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، **التاريخ الشامل للمدينة المنورة**، ج٢، ص ص١١٢-١١٤.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، (٣١٠هـ، ط١٩٧٩م)، مصدر سابق، ج١١، ص١٣٧.

وعلى الرغم من أهمية المنطقة التي ثار فيها السفاك وبشاعة الأعمال التي قام بها، إلا أن تحرك الخلافة العباسية لمواجهته كان بطيئاً وضعيفاً أيضاً، وذلك بسبب ما كانت تعانيه الخلافة في تلك الأثناء من ضعف واضطراب في أوضاعها، وعلى أي حال فقد أرسل الخليفة المعتز بن المتوكل (٢٥١-٢٥٥هـ/ ٨٦٢-٨٦٦م) جيشاً بقيادة محمد بن أحمد بن عيسى وعيسى بن محمد المخزومي، ووصل الجيش إلى مكة قبيل موسم الحج سنة ٢٥١هـ (٨٦٢م)، في حين كان الثائر في جدة.

تحرك السفاك لمواجهة الجيش العباسي ودارت بين الطرفين معركة يوم عرفة على صعيد عرفات هزم فيها الجيش العباسي، ووقع السلب والنهب والقتل في الحجاج على يد السفاك وأتباعه، فقتل أكثر من ألف حاج، وهرب آخرون دون أن يتموا حجهم، وعاد السفاك إلى جدة.(١)

وبقي أهل مكة والمدينة يترقبون أخبار السفاك ويخشون عودته لمهاجمتهم، حتى جاءت الأخبار بإصابته بمرض الجدري ثم وفاته في سنة ٢٥٢هـ (٨٦٣م)، وكان عمره اثنتين وعشرين سنة.(٢)

وبعد وفاة إسماعيل (السفاك) خلفه أخوه محمد (الأخيضر الصغير) في قيادة الثورة، ومحمد أكبر من إسماعيل بنحو عشرين عاماً،(٣) أي أنه كان قد تجاوز الأربعين حين خلف أخاه. وكانت الخلافة العباسية قد أدركت مدى خطورة هذه الثورة وقوتها، فأرسلت جيشاً آخر إلى الحجاز أكثر قوة واستعداداً من سابقه وأسندت قيادته إلى أبي الساج الأشروسني وهو أحد القادة الأتراك الكبار.

وقد استطاع هذا الجيش إلحاق الهزيمة بمحمد الأخيضر، وحينئذ قرر الأخيضر الانسحاب من الحجاز والهرب نحو اليمامة،(٤) لإدراكه عدم قدرته على الصمود أمام هذا الجيش، ولمعرفته أن أهل الحجاز أصبحوا يكنون كرهاً وتذمراً تجاه قيادة هذه الثورة وأتباعها بسبب الأفعال السيئة التي قاموا بها.

---

(١) المصدر السابق، ج١١، ص١٣٧.

(٢) ابن حزم، محمد بن علي بن أحمد، (ت٤٥٦هـ، ط١٩٧٧م)، مصدر سابق، ص٤٦؛ الفاسي، محمد بن أحمد، (١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م)، مصدر سابق، ج٣، ص٣١٣.

(٣) السخاوي، محمد بن عبدالرحمن، (ت٩٠٢هـ، ط١٩٧٩م)، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، ج١، مطبعة دار نشر الثقافة، القاهرة، ص٣٢٣.

(٤) المسعودي، (ت٣٤٦هـ، ط١٣٨٤هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ج٤، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ص١٨٠؛ ابن عنبة الحسني، أحمد بن علي، (ت٨٢٨هـ، ط د. ت)، مصدر سابق، ص٢١٤.

ثانياً : انتقال الأخيضريين إلى اليمامة وقيام دولتهم بها:

المعلومات عن تاريخ الأخيضريين في اليمامة، وعن تاريخ هذه المنطقة بوجه عام خلال الفترة الممتدة من منتصف القرن الثالث الهجري حتى أواخر القرن الخامس الهجري، وهي الفترة المعاصرة لحكم الأخيضريين قليلة جداً. ولذلك على الباحث الذي يحاول التصدي لجلاء بعض الغموض الذي يكتنف تاريخ هذه البلاد خلال تلك الفترة وما بعدها أن يتتبع ما ورد من شذرات عن تاريخها في ثنايا أنواع المصادر المتاحة كافة، كما أن عليه الاستنتاج والتحليل والربط بين الأحداث مستعيناً بكل ما له صلة بهذه المنطقة من ناحية، وبما كان سائداً في المناطق المجاورة من ناحية أخرى، للاستفادة من ذلك كله في محاولة إيضاح بعض الجوانب وتفسير بعض المتغيرات التي حدثت في المنطقة موضع الدراسة.

ولعل من المناسب قبل أن نتحدث عن انتقال الأخيضريين إلى اليمامة وتاريخ دولتهم بها، أن نشير بإيجاز إلى أهم مصادر تاريخهم، وهنا تأتي كتب الأنساب في المقدمة حيث احتوت على جُلّ المعلومات المتوافرة عن الأخيضريين، ومن أبرزها كتاب جمهرة أنساب العرب لابن حزم المتوفى سنة ٤٥٦هـ (١٠٦٤م)، وكتاب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لابن عنبة الحسني المتوفى سنة ٨٢٨هـ (١٤٢٥م) وهذا الكتاب يتضمن أوسع المعلومات التي وصلتنا عن الأخيضريين فيما أعلم.

أما كتب الرحلات والجغرافيا ومعاجم البلدان فتأتي في الدرجة الثانية ومنها: كتاب صورة الأرض لابن حوقل المتوفى بعد سنة ٣٦٧هـ (٩٧٨م)، وصفة جزيرة العرب للهمداني المتوفى في حدود سنة ٣٤٤هـ (٩٥٥م)، ورحلة ناصر خسرو المسماة سفرنامة، وهو شاهد العيان الوحيد الذي مر ببلاد الأخيضريين أثناء فترة حكمهم ودون معلومات عنهم وصلتنا مباشرة، ومعجم البلدان لياقوت الحموي.

هذا إلى جانب كتب التاريخ ومنها: كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي وكتابه الآخر التنبيه والإشراف، وصبح الأعشى للقلقشندي، وتاريخ ابن خلدون.[1]

أما عن الأسباب التي جعلت الأخيضر يختار الانتقال إلى اليمامة بعد أن قرر الانسحاب من

---

(١) يلاحظ أن الطبري وهو معاصر للأخيضريين، وكتابه من أوسع كتب التاريخ لم يورد شيئاً عن الأخيضريين في اليمامة. ولعل ذلك يرجع إلى انعزال بلاد اليمامة وضعف صلاتها بالأقاليم المجاورة.

الحجاز، فهي -فيما يظهر لنا- تكمن في انعزال هذا الإقليم وضعف نفوذ الدولة العباسية فيه في تلك الفترة، وإدراك الأخيضر أن نظرة السلطة العباسية لأهميته أقل بكثير من نظرتها لأهمية الحجاز، إضافة إلى معرفته بوجود تذمر وميل إلى الخروج عن طاعة الخلافة لدى القبائل البدوية التي تقطن عالية نجد وأطراف اليمامة.

والمصادر لا تمدنا بمعلومات عن خط سير الأخيضر في تحركه من الحجاز حتى بلغ اليمامة، وهل واجه عقبات في هذا الطريق الطويل أم لا، ومن صحبه في تحركه، ومن ساعده، بل هي فقط تشير إلى أنه وصل إلى اليمامة واستولى على الخضرمة وجعلها قاعدة لحكمه.

ولعل الأخيضر استعان بالقبائل البدوية في عالية نجد وبخاصة بني كلاب، فقد كانت تربطه بهم صلة مصاهرة، فجدته أم والده هي قطبية بنت عامر بن الطفيل من بني جعفر بن كلاب،[1] ولذلك نتوقع أنه لقي دعماً من بني كلاب الذين كانوا يسيطرون على معظم بلاد عالية اليمامة كما أشرنا من قبل، وكانت ديارهم تمتد من حدود الحجاز الشرقية حتى مواقع قريبة من حدود اليمامة الغربية. كما نتوقع أنه لقي دعماً من قبائل أخرى مثل بني نمير الذين تلقوا قبل فترة ليست بعيدة ضربات موجعة على يد القائد العباسي بغا الكبير.

ثم إننا لا نستبعد أن الأخيضر كان لا يزال يحتفظ بجزء من تلك الأموال الكثيرة التي نهبها أخوه السفاك من مكة وجدة، وبالتالي ربما استخدم تلك الأموال في إغراء القبائل لمساعدته، وكل هذا سهل له الوصول إلى اليمامة والاستيلاء على جزء منها.

وبوصول الأخيضر إلى اليمامة في سنة ٢٥٣هـ (٨٦٧م) على أرجح الأقوال[2] واتخاذه الخضرمة مقراً له وقاعدة لحكمه ظهرت في وسط الجزيرة العربية دولة مستقلة استقلالاً تاماً عن الخلافة العباسية، وتعد هذه الدولة الدولة الثانية التي تعلن استقلالها عن الخلافة العباسية في الجزيرة العربية، فلم يسبقها سوى الدولة الإباضية في عمان سنة ١٧٧هـ (٧٩٣م).[3]

---

(١) ابن عنبة الحسني، أحمد بن علي، (ت٨٢٨هـ، ط د. ت)، مصدر سابق، ص٢١٣.

(٢) تكاد تجمع المصادر على هذا التاريخ عدا ابن حوقل فقد أرخ ذلك بعام ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م (ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، (ت بعد ٣٦٧هـ، ط١٩٧٩م)، **صورة الأرض**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ص٥٨).

(٣) السالمي، عبدالله بن حميد، (١٩٧٤م)، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، ج١، الكويت، ص١١٦. أما الدولة الزيادية في اليمن التي ظهرت سنة ٢٠٤هـ (٨١٩م) فهي ليست من الدول المستقلة استقلالاً تاماً، بل هي من الدول التابعة للخلافة العباسية مع تمتعها بقدر من الاستقلال الذاتي.

ولا نعلم هل واجه الأخيضر مقاومة من أهل اليمامة أو من يمثل السلطة العباسية بها أم لا، فالمصادر لا تمدنا بمعلومات حول هذا الأمر، أما ما ذهب إليه أحد الباحثين من أن الأخيضريين واجهوا مقاومة من والي اليمامة أو من أهلها أو منهما معاً اعتماداً على نص أورده الأصفهاني في كتاب مقاتل الطالبيين،[١] فإن النص المشار إليه لا دلالة فيه على هذا الأمر، ولا صلة له به، فهو يتعلق بالمواجهة بين الأخيضريين وأبي سعيد الجنابي القرمطي، وقد أورده الأصفهاني في حديثه عن أخبار الطالبيين في أيام الخليفة المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م) أي بعد أكثر من أربعين سنة على ظهور دولة الأخيضريين باليمامة.

وعلى الرغم من عدم وجود نص يثبت وقوع مقاومة للأخيضريين وأتباعهم حين وصلوا إلى اليمامة إلا أن هذا لا يعني عدم وقوعها، بل هي أمر متوقع الحدوث.

وعلى أي حال فإن منصب والي اليمامة حين وصل الأخيضريون إليها كان مسنداً من الناحية الرسمية إلى محمد بن أبي عون وهو أحد خاصة الخليفة المعتز، وقد أسندت إليه هذه الولاية إلى جانب البصرة والبحرين سنة ٢٥٢هـ (٨٦٦م)[٢] أي قبل سنة من وصول الأخيضر إليها، ولكن يبدو أن ولايته لها كانت أشبه بولاية صورية فالراجح أنه لم يتوجه إليها، ولم نجد ما يشير إلى أنه أناب أحداً من قبله عليها، وقد كان هذا حال كثير من الولاة في العصر العباسي، فهم حين يمنحون الولاية يبقون في مركز الخلافة ويسندونها إلى من يقوم بها من أتباعهم، أو يتركونها ويكتفون بمجرد الاسم وبخاصة الولايات البعيدة وغير المهمة مثل اليمامة.[٣]

أما مدينة الخضرمة التي اتخذها الأخيضر قاعدة له، فقد ذكر الهمداني أن الزعامة فيها كانت لأسرة

---

(١) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، (ت٣٥٦هـ، ط د. ت)، **مقاتل الطالبيين**، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعرفة بيروت، ص ص٧٠٤-٧٠٥.

(٢) ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، **تاريخ اليمامة**، ج٣، مطابع الفرزدق، الرياض، ص٢١١.

(٣) الجاسر، حمد، (د١٣٨٦هـ)، حول اليمامة وولاتها، **مجلة العرب**، السنة الأولى (١٣٨٦هـ)، المجلد الأول، ص٢٧٩.

ذات شهرة ومكانة في اليمامة في ذلك التاريخ هي أسرة آل أبي حفصة،[١] حيث قال: "وقد ملك الخضرمة بعد بني عبيد من حنيفة آل أبي حفصة، ثم غلب عليها الأخيضر بن يوسف فسكنها".[٢]

ثالثاً: فترات حكم الأخيضريين باليمامة:

اختلفت آراء الباحثين حول مدة حكم الأخيضريين باليمامة وحول علاقاتهم بالقرامطة، فالبعض يرى أن حكمهم انتهى على يد القرامطة في أول القرن الرابع الهجري، في حدود عام ٣١٧هـ (٩٢٩م).[٣] أي أن مدة حكمهم لم تتجاوز خمساً وستين سنة فقط، وقد اعتمد من قال بهذا الرأي على ما ورد في بعض المصادر من إشارة إلى أن القرامطة قضوا عليهم، ويلاحظ أن أصحاب هذا الرأي لم يربطوا ما جاء في تلك المصادر بما ورد في مصادر أخرى من أخبار تدل على استمرار حكم الأخيضريين بالمنطقة بعد ذلك.

---

(١) أسرة آل أبي حفصة تنسب إلى أبي حفصة وهو أحد موالي بني أمية، وقد استقر باليمامة في مطلع النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وتزوج بها، وارتبط أبناؤه وأحفاده بأهل اليمامة بصلات المصاهرة والنسب وكثر عددهم، وظهر فيهم عدد من الشعراء، وأصبح لهذه الأسرة شأن ومكانة بسبب صلتها بخلفاء بني أمية.

وعندما قامت الدولة العباسية استطاع آل أبي حفصة أن يحظوا لديهم بمكانة مماثلة، بعد أن وفد شعراؤهم على خلفاء بني العباس ومدحوهم.

وقد عرف عن آل أبي حفصة معاداتهم للعلويين وغمزهم والتعريض بهم في أشعارهم، وكان هذا مما رفع أسهمهم عند بعض خلفاء بني العباس، فأعطوهم الأموال ومنحوهم الإقطاعات في بلاد اليمامة، وبخاصة في منطقة جو الخضارم. (لمزيد من المعلومات عن هذه الأسرة وشعرائها، وصلتهم بالخلفاء العباسيين انظر: الجاسر، حمد، (ج١٣٨٦هـ)؛ الحفصي وكتابه عن اليمامة، **مجلة العرب**، المجلد الأول، السنة الأولى، ص ص٦٧٣-٦٩٢، ٧٦٩-٧٩٣).

(٢) الهمداني، الحسن بن أحمد، (ت٣٤٤هـ، ط١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص ٢٧٦.

(٣) ممن أخذ بهذا الرأي: الزامل، ناصر بن فوزان، (١٤٠٣هـ)، **قرامطة البحرين دعوتهم ودولتهم**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص٤٣٨.

الشويعر، محمد، (١٤١٢هـ)، **نجد قبل ٢٥٠ عاماً**، مكتبة النخيل، الرياض، ص ص٩، ٦٤.

خزعل، حسين خلف، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، **حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص٣٧.

العجلاني، منير، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، **تاريخ البلاد السعودية**، الجزء الأول، الدولة السعودية الأولى، القسم الأول، ص٢٨.

سرور، محمد جمال الدين، (د. ت)، **النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب**، دار الفكر العربي، القاهرة، ص٥٠.

أما الرأي الآخر فيرى أن حكمهم استمر حتى ما بعد منتصف القرن الخامس الهجري،[١] اعتماداً على ما ورد في تلك المصادر التي أشارت إلى استمرار وجودهم بالمنطقة. ومن خلال تتبع النصوص التي وردت في ثنايا المصادر والربط بينها تبين لنا أن حكم الأخيضريين استمر حتى أواخر القرن الخامس الهجري وأنه مر بمراحل متعددة تراوحت بين قوة وضعف وتبعية وسقوط مؤقت، ويمكن تقسيم هذه المراحل زمنياً على النحو التالي:

الفترة الأولى (٢٥٣-٢٩٥هـ/٨٦٧-٩٠٨م):

وهذه الفترة هي فترة التأسيس وقوة الدولة في أول عهدها قبل ظهور دولة القرامطة في إقليم البحرين المجاور. وقد كانت الظروف مواتية للأخيضريين عند قيام دولتهم، فالخلافة العباسية كانت تعيش حالة ضعف شديد لأسباب كثيرة منها تسلط الأتراك، والنزاع بين المستعين والمعتز على الخلافة، واندلاع كثير من الفتن والثورات في مناطق متعددة من بلدان الخلافة.

وكان من أشد هذه الثورات وأكثرها خطراً ثورة الزنج التي اندلعت في جنوب العراق سنة ٢٥٥هـ (٨٦٩م)[٢] -أي بعد قيام الدولة الأخيضرية بسنتين فقط- وكونت حاجزاً بين مركز الخلافة وإقليم اليمامة، وأدت إلى انشغال الخلافة بإخمادها وصرف جل اهتمامها لذلك فترة طويلة. ولعل هذا كان من العوامل المهمة التي ساعدت الأخيضريين على تثبيت أقدامهم في المنطقة، وأتاحت لهم فرصة البقاء وممارسة نشاطهم بحرية، وأبعدت عنهم احتمال مواجهة رادعة من السلطة المركزية.[٣] يضاف إلى ذلك عدم وجود منافس لهم في المنطقة أو المناطق المجاورة في أول عهدهم.

---

(١) ممن أخذ بهذا الرأي: الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، ط١، منشورات دار اليمامة، الرياض، ص٦٩.

الشبل، عبدالله، (١٣٩٦هـ)، الدولة الأخيضرية، **مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص٤٦٦.

الوشمي، صالح بن سليمان، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ص١٧٣.

الحديثي، نزار عبداللطيف، (١٩٧٧م)، إمارة بني الأخيضر في اليمامة، **مجلة كلية الآداب**، العدد ٢٢، جامعة بغداد، ص ص١٣٣-١٣٤.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، (٣١٠هـ، ط١٩٧٩م)، مصدر سابق، ج١١، ص١٧٤.

(٣) بعد القضاء على ثورة الزنج سنة ٢٧٠هـ (٨٨٣م) انشغلت الخلافة بثورات أخرى منها تمرد الصفاريين، ثم القرامطة.

كل هذه الظروف والعوامل أسهمت في نجاح محمد الأخيضر في الاستيلاء على جزء مهم من بلاد اليمامة يتمثل في منطقة جو الخضارم (الخرج) وما حولها، ثم ساعدته بعد ذلك في تثبيت سلطته واستمرارها. ويلاحظ أن هذا الجزء يعد من أكثر بقاع اليمامة خصوبة ووفرة في المياه وكانت تقوم فيه مستوطنات زراعية كثيرة، وكان أغلب سكانه من بني حنيفة، وهم أكثر قبائل اليمامة تحضراً واستقراراً في تلك الآونة كما أشرنا من قبل.

وقد يرد سؤال هنا عن ماهية القوة التي اعتمد عليها محمد الأخيضر في فرض سيطرته على هذا الجزء، والمصادر لا تجيب على هذا السؤال. ولكن يبدو أن الأخيضر وخلفاءه انتهجوا سياسة الاستعانة بالقوى البدوية في السيطرة على المناطق الحضرية، وهذه السياسة وإن حققت للأخيضريين مكاسب سياسية، وللمتعاونين معهم مكاسب مادية، إلا أنه كان لها آثار سيئة على المنطقة وسكانها سوف نشير إليها لاحقاً عند الحديث عن سياسة الأخيضريين الداخلية.

ويعد محمد الأخيضر أبرز حكام الفترة الأولى باعتباره المؤسس، ولكن في ظل ندرة المعلومات عن تاريخ الأخيضريين لا نعلم كم استمر حكمه ومتى انتهى علماً بأن عمره حين قدم إلى اليمامة كان في حدود ثلاث وأربعين سنة. وقد أشار ابن عنبة إلى أن محمداً أنجب اثني عشر ابناً أعقب منهم ثلاثة هم يوسف وإبراهيم ومحمد (ابن محمد).[١]

وقد خلفه في الحكم بعد وفاته ابنه يوسف.[٢] ولا نعرف عن فترة حكمه شيئاً أيضاً، وذكر ابن حزم أن يوسف أشرك ابنه إسماعيل معه في الحكم في حياته، وبعد وفاته انفرد إسماعيل بالحكم،[٣] ولم يحدد هو أو غيره تاريخاً لذلك.

في تلك الأثناء كانت قد قامت دولة قرامطة البحرين على يد أبي سعيد الجنابي سنة ٢٨٦هـ (٨٩٩م)، ويبدو أن أبا سعيد بعد أن أحكم سيطرته على إقليم البحرين، وألحق هزيمة ساحقة بجيش الخلافة الذي أرسله الخليفة العباسي المعتضد (٢٧٩-٢٨٩هـ/ ٨٩٢-٩٠٢م) سنة ٢٨٧هـ (٩٠٠م). أخذ

---

(١) ابن عنبة الحسني، أحمد بن علي، (ت٨٢٨هـ، ط د. ت)، مصدر سابق، ص٢١٤.

(٢) ابن حزم، محمد بن علي بن أحمد، (ت٤٥٦هـ، ط١٩٧٧م)، مصدر سابق، ص٤٦؛ ابن عنبة الحسني، أحمد بن علي، (ت٨٢٨هـ، ط د. ت)، مصدر سابق، ص٢١٤.

(٣) ابن حزم، محمد بن علي بن أحمد، (ت٤٥٦هـ، ط١٩٧٧م)، مصدر سابق، ص٤٦.

يتطلع إلى مد نفوذه على المناطق المجاورة، ويذكر المسعودي أنه أرسل قوات استولت على أجزاء من عمان، كما استولت على يبرين،[١] وبلاد الفلج (الأفلاج).[٢]

أما فيما يتعلق بعلاقات أبي سعيد الجنابي مع الأخيضريين فقد أورد الأصفهاني في حديثه عن أخبار الطالبيين في عهد الخليفة المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٨-٩٣٢م) خبراً جاء فيه: "وقتل القرمطي المعروف بابن الحباني[٣] بالكوفة رجلاً من ولد طباطبا[٤] لم يقع لي نسبه. وقتل بناحية اليمامة جماعة منهم يقال لهم بنو الأخيضر لم تقع إلينا أنسابهم".[٥]

ويفسر نص الأصفهاني ويؤكده ما ذكره عبدالجبار الهمذاني عن الرسالة التي بعث بها الوزير علي ابن عيسى وزير الخليفة المقتدر إلى أبي سعيد الجنابي التي جاء فيها: "وزعمت أنك رسول المهدي وقد قتلت العلويين وسبيت آل الأخيضر العلويين، ومن باليمامة، واسترققت العلويات".[٦]

---

(١) يبرين؛ بلدة بين عمان وجنوب بلاد اليمامة في منطقة ذات رمال متصلة بأطراف الربع الخالي، وهي على الطريق بين عمان ومكة، وتعد من إقليم البحرين، والآن هي ضمن المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية. (انظر: الحموي، ياقوت، (ت٦٢٦هـ، ط١٣٦٧هـ)، مصدر سابق، ج٥، ص ٥٢٧؛ العبيد، عبدالرحمن بن عبدالكريم، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، **الموسوعة الجغرافية لشرقي المملكة العربية السعودية**، ج٢، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، الدمام، ص٣٥٥).

(٢) المسعودي، علي بن الحسين، (ت٣٤٦هـ، ط١٩٨١م)، **التنبيه والإشراف**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص٣٥٧. وذكر أبو عبيد البكري أيضاً أن القرامطة استولوا على فلج (البكري، (ت٤٨٧هـ، ط١٣٩٧هـ)، **جزيرة العرب، من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق عبدالله يوسف الغنيم، ذات السلاسل، الكويت، ص٤٦).

(٣) هكذا وردت، وذكر محقق الكتاب أنها وردت في نسخة أخرى "المعروف بالجبائي"، ويبدو أن هذا كله تصحيف والصواب "المعروف بالجنابي" والمراد أبو سعيد الجنابي القرمطي.

(٤) طباطبا هو إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ونسب إليه أبناؤه وأحفاده (ابن عنبة الحسني، أحمد بن علي، (ت٨٢٨هـ، ط د.ت)، مصدر سابق، ص٢٦٩).

(٥) الأصفهاني، أبو الفرج، (ت٣٥٦هـ، ط د.ت)، مصدر سابق، ص ص٧٠٤-٧٠٥. وتجدر الإشارة هنا إلى أن أبا الفرج الأصفهاني صرح في خاتمة كتابه هذا بأنه فرغ من تأليفه سنة ٣١٣هـ (٩٢٥م)، وأنه ضمنه أخبار الطالبيين إلى هذا التاريخ. وهذا يعني أن ما ورد في النص لا يمكن أن ينصرف إلى ما وقع للأخيضريين بعد ذلك على يد أبي طاهر القرمطي سنة ٣١٦هـ (٩٢٨م).

(٦) الهمذاني، عبدالجبار بن أحمد، (ت ٤١٥هـ، ط١٩٦٦م)، **تثبيت دلائل النبوة**، ج٢، تحقيق عبدالكريم عثمان، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص٣٨٠.

ومن خلال هذين النصين نستطيع أن نؤكد أن أبا سعيد الجنابي دخل في مواجهة مع الأخيضريين في اليمامة، وألحق بهم الهزيمة وقتل عدداً منهم وأسر آخرين. ولعل هذا الأمر وقع تقديراً في حدود سنة ٢٩٥هـ (٩٠٨م)، فنص الأصفهاني -كما أشرنا- ورد في حديثه عن الطالبيين في أيام المقتدر. وبهذه الهزيمة تنتهي الفترة الأولى من فترات حكم الأخيضريين.

الفترة الثانية (٢٩٥-٣١٦هـ/٩٠٨-٩٢٨م):

وهذه الفترة فترة غامضة لا تتوافر عنها معلومات واضحة، لذلك لا نعلم هل أدت الهزيمة السابقة إلى سقوط دولة الأخيضريين الأولى وفرض سيطرة مباشرة من قبل القرامطة على اليمامة فترة من الزمن، ثم تمكن الأخيضريون بعد ذلك من استعادة حكمهم. أم أنها لم تؤد إلى سقوط حكم الأخيضريين وإنما أفقدتهم قدراً من استقلالهم وفرضت عليهم نوعاً من التبعية للقرامطة، ثم استعادوا استقلالهم بعد ذلك شيئاً فشيئاً.

والاحتمال الأخير هو الذي نميل إليه، ولعل الأخيضريين استفادوا من الظروف التي مر بها القرامطة بعد قتل أبي سعيد الجنابي سنة ٣٠١هـ (٩١٤م)، بسبب عدم وجود شخص مؤهل من أبنائه يخلفه في الزعامة، فابنه الأكبر سعيد كان ضعيفاً وغير قادر على القيام بالمهمة، وابنه الثاني أبو طاهر سليمان كان صغيراً عند وفاة والده إذ لم يتجاوز السابعة من عمره بعد، لذلك تولى إدارة دولة القرامطة مجلس وصاية حتى سنة ٣١٠هـ (٩٢٢م) حين تسلم الزعامة أبو طاهر القرمطي. وخلال الفترة المشار إليها مر القرامطة بمرحلة سكون ولم يسجل لهم نشاط عسكري يذكر، واكتفوا بالحفاظ على أوضاعهم الداخلية.[١]

ويبدو أن الأخيضريين استعادوا قدراً كبيراً من استقلالهم خلال تلك الفترة، فقد ذكر ياقوت نقلاً عن تاريخ ابن سيرين قوله: "وفيها -يعني سنة ٣١٠هـ- انتقل أهل قرّان من اليمامة إلى البصرة لحيف لحقهم من ابن الأخيضر في مقاسماتهم،[٢] وجدب أرضهم".[٣] وهذا النص يفيد أن الأخيضريين كان لهم نفوذ وسلطة باليمامة في ذلك التاريخ.

---

(١) الزامل، ناصر بن فوزان، (١٤٠٣هـ)، مرجع سابق، ص ص٢٤٨-٢٤٩، ٤٨٦.

(٢) مقاسماتهم؛ أي مزارعهم.

(٣) الحموي، ياقوت، (ت٦٢٦هـ، ط١٣٦٧هـ)، مصدر سابق، ج٤، ص٣١٩.

أما المسعودي فقد ذكر حين أشار إلى مهاجمة أبي طاهر القرمطي لمدينة الكوفة في أواخر سنة ٣١٣هـ (٩٢٦م)، أنه حين قرر الانسحاب منها والعودة إلى مركزه في الأحساء سلمها إلى إسماعيل بن يوسف بن محمد الأخيضر.[١] وهذا يدل على تعاون إسماعيل مع أبي طاهر القرمطي وحسن علاقته به في ذلك التاريخ.

بيد أن علاقة الأخيضريين بالقرامطة ما لبثت أن تحولت من النقيض إلى النقيض بعد سنوات قليلة، فقد ذكر ابن عنبة أن معركة حامية الوطيس دارت بين الأخيضريين والقرامطة سنة ٣١٦هـ (٩٢٨م) قتل فيها إسماعيل بن يوسف بن محمد نفسه، وثلاثة من إخوته هم: إبراهيم، وإدريس الأكبر، والحسين، كما قتل فيها أيضاً عمه أبو عبدالله محمد بن محمد بن يوسف.[٢]

ولم يبين ابن عنبة أسباب هذه المعركة، ولم يشر إلى النتائج التي ترتبت عليها من الناحية السياسية. ولعل خلافاً نشب بين الطرفين تطور إلى هذه المواجهة، أو أن أبا طاهر القرمطي بعد أن علا شأنه إثر الانتصارات التي حققها لم يعد قانعاً بالتبعية غير المباشرة للأخيضريين، بل أصبح لا يرضى بأقل من السيطرة التامة على بلادهم.

وحين عدّد ابن حوقل الأعمال السيئة التي قام بها أبو طاهر ذكر منها: "وقاتلُ آل أبي طالب وبني هاشم والمستحل دماءهم وفروجهم وأموالهم".[٣] والأخيضريون كما هو معلوم من آل أبي طالب فلعل ابن حوقل يلمح بقوله هذا إلى ما فعله أبو طاهر بهم. وعلى أي حال فالفترة الثانية من فترات حكم الأخيضريين تنتهي بهذه الهزيمة التي تلقوها للمرة الثانية من القرامطة.

---

١) المسعودي، علي بن الحسين، (ت٣٤٦هـ، ط١٩٨١م)، مرجع سابق، ص٣٤٧. وقد ذهب أحد الباحثين إلى أن حصن الأخيضر الذي لا تزال أطلاله باقية إلى اليوم في صحراء جنوب العراق على بعد ٢٥ ميلاً عن كربلاء ربما سمي باسم إسماعيل بن يوسف الأخيضر (ماسينيون، لويس، (١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م)، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرين، مجلد ١، ص ص٥٣٠-٥٣١). إلا أن باحثاً آخر كتب دراسة خاصة عن هذا الحصن يرى أن الحصن بني في حدود القرن الثاني الهجري وأن سبب تسميته بالأخيضر يرجع إلى أن لونه يميل إلى الخضرة وسط المنطقة الصحراوية التي يقع فيها (مهدي، علي محمد، (١٩٦٩م)، **الأخيضر**، مديرية الآثار العامة، بغداد، ص ص١٤-١٩).

(٢) ابن عنبة الحسني، أحمد بن علي، (ت٨٢٨هـ، ط د.ت)، مصدر سابق، ص٢١٥

(٣) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، (ت بعد٣٦٧هـ، ط١٩٧٩م)، مصدر سابق، ص٢٥٩.

الفترة الثالثة (٣١٦-٣٢٨هـ تقريباً /٩٢٨-٩٣٩م):

في هذه الفترة نرجح أن القرامطة سيطروا سيطرة مباشرة على الحكم في اليمامة، إثر تلك الضربة القوية التي وجهها أبو طاهر للأخيضريين سنة ٣١٦هـ (٩٢٨م) مما أدى إلى سقوط مؤقت لدولتهم، ومما يعزز ما ذهبنا إليه أمران:

أحدهما: أن هزيمة الأخيضريين وقعت في فترة الذروة في نشاطات أبي طاهر وقوته العسكرية، واتساع نطاق دولته، حيث امتد نفوذه إلى جنوب العراق، وبلاد عمان،[١] وبلاد الأحقاف في أقصى جنوب الجزيرة العربية،[٢] واجتاحت جيوشه مكة، وسيطر على طريق الحج العراقي.[٣] وبالتالي لا يستبعد أنه سيطر على اليمامة وهي أقرب البلاد إليه، وبخاصة بعد إلحاقه الهزيمة بالأخيضريين.

أما الثاني: فهو ما ورد في عدد كبير من المصادر التاريخية من أن اليمامة كانت تحت حكم أبي طاهر القرمطي في منتصف العقد الثالث من القرن الرابع الهجري، فقد ذكر ابن الأثير أن البحرين واليمامة كانتا في يد أبي طاهر القرمطي سنة ٣٢٤هـ (٩٣٦م)،[٤] وذكر مثل ذلك كل من: النويري،[٥] وابن كثير،[٦] وأبو الفدا.[٧] وذكر ابن الجوزي أن اليمامة وهجر وأعمال البحرين كانت في يد أبي طاهر القرمطي سنة ٣٢٥هـ (٩٣٧م)،[٨] وذكر مثل ذلك مسكويه.[٩]

---

(١) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت٨٠٨هـ، ط ١٩٧٩م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ بن خلدون)**، ج٤، دار البيان، بيروت، ص٩٣.

(٢) المقدسي، محمد بن أحمد، (ت ٣٨٠هـ، ط١٩٨٧م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق محمد مخزوم، دار إحياء التراث، بيروت، ص١٠٤.

(٣) الزامل، ناصر بن فوزان، (١٤٠٣هـ)، مرجع سابق، ص ص٤٥٦، ٣٨٢.

(٤) ابن الأثير، علي بن محمد، (ت٦٣٠هـ، ط١٩٧٩م)، مصدر سابق، ج٨، ص٣٢٤.

(٥) النويري، أحمد بن عبدالوهاب، (ت٧٣٣هـ، ط١٩٨٠م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج٢٣، تحقيق أحمد كمال زكي ومحمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص١٣٦.

(٦) ابن كثير، الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر، (ت٧٧٤هـ، ط١٩٦٦م) **البداية والنهاية**، ج١١، مكتبة المعارف، بيروت، ومكتبة النصر، الرياض، ص٨٤.

٧) أبو الفداء، الملك المؤيد إسماعيل بن علي، (٧٣٢هـ، ط د. ت.)، **المختصر في أخبار البشر**، ج٢، دار المعرفة، بيروت، ص٨٤.

(٨) ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ، ط١٣٥٧هـ)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، ج٦، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ص٢٨٨.

(٩) مسكويه، أحمد بن علي (ت٤٢١هـ، ط د. ت)، **تجارب الأمم**، ج١، مكتبة المثنى، بغداد، ص٢٦٧.

ويبدو أن ما حل بالأخيضريين بعد هزيمتهم على يد أبي طاهر هو الذي جعل بعض المؤرخين يشيرون إلى أن دولة الأخيضريين قضي عليها على يد القرامطة، ولعلهم يقصدون دولتهم الأولى، ذلك أنهم استطاعوا استعادة سلطتهم مرة أخرى في فترة لاحقة.

الفترة الرابعة (٣٢٨هـ- حتى سقوط دولتهم):

لا تتوافر لدينا معلومات عن أوضاع الأخيضريين بعد ما حل بهم سنة ٣١٦هـ (٩٢٨م)، وأول خبر محدد التاريخ ورد عنهم بعد هذه الحادثة -فيما نعلم- هو ما ذكره المسعودي في معرض حديثه عن سكنى طسم وجديس لبلاد اليمامة، حيث قال: "وهذا البلد في هذا الوقت -وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة- بيد ولد الأخيضر العلوي، وهو من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه". (١)

ومن خلال هذا النص الذي أورده مؤرخ معاصر يمكن أن نؤكد أن الأخيضريين كانوا يحكمون باليمامة في سنة ٣٣٢هـ (٩٤٤م). والسؤال هنا، متى استعادوا حكمها من القرامطة؟

لا شك أن ذلك تم بعد سنة ٣٢٥هـ (٩٣٧م) التي صرح فيها بعض المؤرخين بأن اليمامة كانت في يد القرامطة، وقبل سنة ٣٣٢هـ (٩٤٤م) التي صرح المسعودي أن الحكم فيها كان بيد الأخيضريين.

ومن خلال تتبع مجريات الأحداث في المنطقة نرجح أن الأخيضريين استعادوا حكمهم في حدود سنة ٣٢٨هـ (٩٤٠م) تقريباً. وذلك لسببين أحدهما: وقوع فتنة داخلية بين القرامطة في سنة ٣٢٦هـ (٩٣٨م) أدت كما يقول ابن الأثير إلى فساد حالهم وقتل بعضهم بعضاً. (٢) كما أدت إلى لزوم أبي طاهر بلد هجر وترك قصد البلاد الأخرى والإفساد فيها. (٣)

أما الثاني: فهو تمرد بعض الأعراب على أبي طاهر القرمطي سنة ٣٢٧هـ (٩٣٩م) وامتناعهم عن تسليم ما ينهبونه من قوافل الحجاج وغيرها إليه. (٤)

---

(١) المسعودي، (ت٣٤٦هـ، ط١٣٨٤هـ)، مصدر سابق، ج٢، ص٥٣.

(٢) ابن الأثير، علي بن محمد، (ت٦٣٠هـ، ط١٩٧٩م)، مصدر سابق، ج٨، ص٣٥١.

(٣) المصدر السابق، ج٨، ص٣٥٢.

(٤) الهمذاني، عبدالجبار بن أحمد، (ت ٤١٥هـ، ط١٩٦٦م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣٩٣؛ الزامل، ناصر بن فوزان، (١٤٠٣هـ)، مرجع سابق، ص ص٣٨٤، ٤٠١.

ويبدو أن الأخيضريين استغلوا هذه الظروف التي مرت بالقرامطة وتمكنوا من استعادة سلطتهم في اليمامة، وقد يكون مما ساعدهم أيضاً ما عرف من سوء سياسة القرامطة، ونزوع أهل نجد إلى الاستقلال ونفورهم من التبعية لسلطة خارجية.

ولا نعلم على وجه اليقين من الزعيم الأخيضري الذي استعاد الحكم من القرامطة، ولكن من خلال تسلسل ذكر أمرائهم كما ورد عند ابن حزم،(١) وابن خلدون،(٢) والقلقشندي،(٣) وابن عنبة،(٤) نرجح أنه أبو محمد الحسن بن يوسف بن محمد، أخو إسماعيل بن يوسف قتيل القرامطة، وهو الأمير الرابع في سلسلة أمراء الأخيضريين منذ تأسيس دولتهم.

أما الأمير الخامس فهو أبو جعفر أحمد بن الحسن بن يوسف، وقد تولى بعد والده. ولم يذكر ابن حزم ومن بعده ابن خلدون والقلقشندي سوى هؤلاء الأمراء الخمسة، أما ابن عنبة فقد تابع ذكر أمرائهم لكنه لم يذكرهم حسب تسلسل ولايتهم بل خلال بيانه لتفرعات أنسابهم، كما أنه لم يذكر ما يدل على تواريخ توليهم.(٥) ومن خلال ما ذكره يمكن ترتيب الأمراء الذين تولوا بعد أحمد بن الحسن على النحو التالي:

الأمير السادس: صالح بن إسماعيل بن يوسف، وهو ابن عم سابقه، ووالده إسماعيل قتيل القرامطة -ثالث أمراء بني الأخيضر- ولا نعلم الظروف التي تولى فيها، ومتى تولى، وهل كان ذلك بموافقة من بني عمه أم أنه انتزع الإمارة منهم من منطلق رؤية خاصة بأنه الأحق بها باعتبار أن والده كان أميراً.

الأمير السابع: أبو عبدالله محمد بن أبي جعفر أحمد بن الحسن، ويلاحظ أن الإمارة عادت لفرع الحسن بن يوسف واستمرت فيه بعد ذلك حتى سقوط الدولة الأخيضرية.

---

(١) ابن حزم، محمد بن علي بن أحمد، (ت٤٥٦هـ، ط١٩٧٧م)، مصدر سابق، ص٤٧.

(٢) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت٨٠٨هـ، ط ١٩٧٩م)، مصدر سابق، ص ص٩٨-٩٩.

(٣) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت٨٢١هـ، ط د.ت)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج٥، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ص٦٠.

(٤) ابن عنبة الحسني، أحمد بن علي، (ت٨٢٨هـ، ط د.ت)، مصدر سابق، ص٢١٤.

(٥) المصدر السابق، ص ص٢١٤-٢١٦.

الأمير الثامن: أبو المقلد جعفر بن أبي جعفر أحمد بن الحسن، وهو أخو السابق، ويلاحظ أنه خلف أخاه مع أن لأخيه ولدين، ومع أن من ينعم النظر في تسلسل أمراء الأخيضريين يجد أن الإمارة في الغالب تنتقل بالوراثة من الأب إلى أحد أبنائه، ولعل ابني محمد بن أحمد كانا صغيرين عند وفاته، أو أنهما غير مؤهلين للإمارة.

الأمير التاسع: حسن بن أبي المقلد جعفر.

الأمير العاشر: محمد بن أبي المقلد جعفر، ويبدو أن صراعاً عنيفاً على الحكم نشب بين أبناء أبي المقلد، فقد قتل جعفر ابن أبي المقلد جعفر أخاه محمداً وحل محله في الإمارة.

الأمير الحادي عشر: جعفر بن أبي المقلد جعفر، تولى بعد أن قتل أخاه كما أشرنا، ثم ما لبث أن ثار عليه ابن أخيه كرزاب بن علي وقتله بعمه محمد.

الأمير الثاني عشر: كرزاب بن علي بن أبي المقلد، تولى الإمارة بعد أن قتل عمه جعفراً وهو آخر أمراء بني الأخيضر، حيث سقطت دولتهم بعد ذلك.[1] (شكل: ٢-٥-٢).

(١) المصدر السابق، ص ص٢١٥-٢١٦.

obeikan.com

شكل (٢-٥-٢) شجرة تسلسل نسب الأسرة الأخيضرية

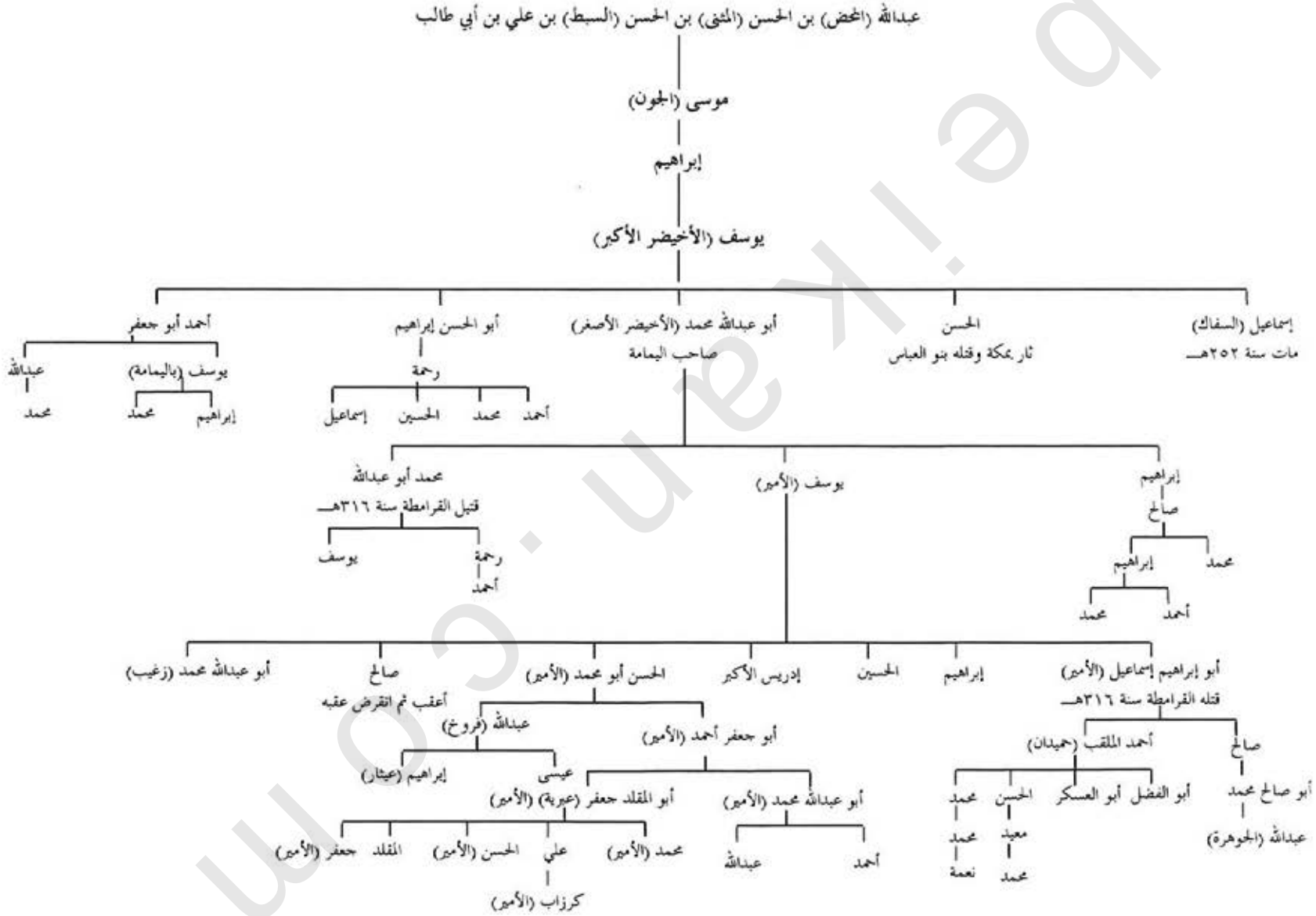

رابعاً: مذهب الأخيضريين:

بنو الأخيضر علويون حسنيون من حيث النسب -كما أشرنا من قبل- أما من حيث المعتقد والمذهب فهم يعتنقون المذهب الزيدي،(١) وقد أشار إلى هذا الرحالة الفارسي ناصر خسرو حين زار قاعدة حكمهم سنة ٤٤٣هـ (١٠٥١م) وتحدث عنهم فقال: "ومذهبهم الزيدية، وهم يقولون في الإقامة: محمد وعلي خير البشر وحي على خير العمل".(٢)

وكان كثير من الحسنيين في الحجاز -في الوقت الذي توجه فيه الأخيضريون من هناك إلى اليمامة- يعتنقون المذهب الزيدي، ولعل مساواة هذا المذهب بين الحسنيين والحسينيين في أمر أحقية تولي الإمامة كان من بين العوامل التي دفعت كثيراً من الحسنيين إلى اعتناقه.

ومهما يكن الأمر فقد انتقل الأخيضريون إلى اليمامة وهم يعتنقون هذا المذهب واستمروا عليه، أما أهل اليمامة حين قدم إليها الأخيضريون فهم على مذهب أهل السنة والجماعة، ونرجح أن المذهب الزيدي لم يجد قبولاً عند سكان هذه البلاد ولم ينتشر بينهم بدليل أننا لا نجد له أثراً في القرون التالية.

ولعل كره السكان للأخيضريين بسبب سوء سياستهم الداخلية كان من أسباب عدم تقبلهم لهذا المذهب، إضافة إلى أن نفوذ الأخيضريين كان في واقع الأمر محصوراً في جزء صغير من بلاد اليمامة وبخاصة خلال الفترة الأخيرة من حكمهم وبهذا يكون تأثيرهم في المنطقة في الجانب الفكري والديني محدوداً.

يضاف إلى ما سبق أن الفكر الزيدي تأثر بفكر المعتزلة في الميل إلى الجدل، وتغليب النظر العقلي،

---

(١) المذهب الزيدي؛ ينسب إلى زيد بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٨٠-١٢٠هـ/ ٦٩٩-٧٣٨م)، وهو أكثر المذاهب الشيعية اعتدالاً، ويقوم الفكر السياسي في هذا المذهب على أن الإمامة ليست بالوراثة، وأن الإمام يشترط أن يكون فاطمياً سواء كان حسنياً أو حسينياً، وينكر مبدأ التقية، ويرى أن الإمام يجب أن يعلن دعوته. وهو بهذا يخالف مذهب الإسماعيلية وغيره من مذاهب الشيعة. (انظر: الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، **الملل والنحل**، ج١، تحقيق محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ص ص١٥٤-١٥٥؛ وغليس، أشواق أحمد، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، **التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص ص٣٠، ٣٦).

(٢) خسرو، ناصر، (ت القرن الخامس الهجري، ط١٤٠٣هـ)، **سفرنامة، (رحلة ناصر خسرو)**، ترجمة يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص١٤٢.

وإعطائه أهمية في الاستدلال تفوق النص النقلي أحياناً،[١] وهذا لا يتوافق مع طبيعة أهل بلاد اليمامة الذين كانوا يعيشون حياة ريفية أو بدوية تتسم بالبساطة وتميل إلى الوضوح والصراحة والقبول المباشر بما ورد في النصوص، بعيداً عن الجدل العقلي والترف الفكري الذي كان من سمات البيئات المدنية المنفتحة على الثقافات الأخرى.

ويحسن أن نشير هنا إلى أن أحد الباحثين ذكر أن الأخيضريين ينتمون في مذهبهم إلى فرقة الإسماعيلية،[٢] واعتمد في هذا على نص ورد عند القلقشندي،[٣] والنص الذي تم الاستشهاد به ذكره القلقشندي في حديثه عن الفداوية،[٤] ولا علاقة له بالأخيضريين ولم يشر إليهم فيه مطلقاً.

خامساً: سياستهم الداخلية:

قبل التطرق لسياسة الأخيضريين تجاه سكان المناطق التي حكموها يحسن أن نشير إلى السمات العامة لأنماط الحياة الاجتماعية لسكان إقليم اليمامة خلال العصر الذي حكم فيه الأخيضريون، لما لهذا من أثر في إيضاح مجريات الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المنطقة.

وفي هذا الجانب يمكن أن يقسم سكان المنطقة بشكل عام إلى قسمين: من ينتمون إلى البيئة الزراعية التي كانت تقوم في المناطق التي تتوافر فيها المياه سواء مياه العيون أو الينابيع أو المياه الجوفية القريبة من سطح الأرض التي يمكن استخراجها والاستفادة منها في إقامة مستوطنات زراعية. وهذه البيئة -كما أشرنا من قبل- يتركز أغلبها في الأودية المنحدرة من جبال العارض (طويق) وحول العيون والسيوح في جو الخضارم (الخرج) والفلج (الأفلاج).

والمنتمون إلى هذه البيئة يعيشون حياة يغلب عليها الاستقرار ويمارس أغلبهم النشاطات الزراعية وما

---

(١) سيد، أيمن فؤاد، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، **تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن الخامس الهجري**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص ص٢٢٥-٢٢٦.

(٢) ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، مرجع سابق، ج٣، ص ص٢٥٠، ٢٥٤.

(٣) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت٨٢١هـ، ط د. ت)، مصدر سابق، ج١، ص ص١١٩-١٢٠.

(٤) الفداوية؛ ويسمون أيضاً بالحشاشين فرقة من الإسماعيلية امتهن بعض أفرادها اغتيال بعض الشخصيات الكبيرة لأسباب سياسية ودينية ومادية. (انظر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، الرياض، ص ص٤٧، ٢٠١).

يتصل بها، وتقوم بينهم علاقات اقتصادية واجتماعية تختلف في بعض أوجهها عن البيئة الأخرى المجاورة لهم وهي البيئة الصحراوية البدوية، وهم بحاجة إلى توفر الأمن لحماية ممتلكاتهم ومحصولاتهم، وبحاجة أيضاً إلى تنظيم يكفل أمر توزيع المياه بينهم بطريقة عادلة وبخاصة مياه العيون والسيول، ويكفل أيضاً المحافظة على مصادر المياه من الخراب أو الاندثار أو سوء الاستخدام، كما يكفل ضبط العلاقات بين ملاك الأراضي والمستثمرين لها والعاملين فيها، وغير ذلك من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية.

ولهذه الأسباب ونظراً لارتباط المنتمين إلى هذه البيئة بالأرض وبالملكيات الثابتة، فهم الأكثر استفادة من استقرار الأوضاع السياسية والأمنية، والأكثر تضرراً في حال انتشار الفوضى وغياب السلطة، وهم الأسهل خضوعاً للسلطة الحاكمة، وفي الوقت نفسه الأسهل استغلالاً من قبلها في حال انتهاجها سياسة تسلطية.

أما البيئة الأخرى فهي البيئة الصحراوية البدوية غير المستقرة التي يجوب أفرادها الفيافي خلف قطعانهم طلباً للكلأ والماء، ويعيشون نمط الحياة القبلية بكل ما يرتبط به من نظم وعادات، وهذه البيئة تتركز -كما أشرنا من قبل- في عالية نجد وأطراف بلاد اليمامة.

والبيئة الصحراوية هي الأكثر فقراً وشظفاً في العيش، وبخاصة في فترات انحباس المطر وحلول القحط. ولهذا فهم ينظرون إلى البيئة الزراعية المجاورة الأكثر غنى منهم والأفضل حالاً نسبياً، على أنها مجال للحصول على المغانم ويزداد خطرهم وتسلطهم كلما ضعفت السلطة السياسية الحاكمة. ولهذا لم تكن العلاقة بين البيئتين في أغلب الأحيان جيدة، وبخاصة في ظل الأوضاع السياسية السيئة التي كانت تعيشها المنطقة عند قيام الدولة الأخيضرية.

وقد أشرنا من قبل إلى أن الأخيضريين ربما استعانوا في مرحلة تأسيس دولتهم بالقبائل البدوية لمساعدتهم في الوصول إلى منطقة اليمامة وفي السيطرة على جزء منها. ويبدو أنهم استمروا في سياستهم تلك بحيث استفادوا من البدو في تكوين قوة يعتمدون عليها في فرض سيطرتهم على سكان البيئة الزراعية التي ينتمي قاطنوها إلى القبائل التي يغلب عليها طابع التحضر والاستقرار.

وهذا التحالف بين الطرفين يقوم على أساس تحقيق مصلحة سياسية للأخيضريين ومصلحة مادية

للمتعاونين معهم على حساب الطرف الثالث وهم سكان البيئة الزراعية.

ويلاحظ أن الأخيضريين انتهجوا هذه السياسة قبل القرامطة الذين استخدموا السياسة نفسها ولكن على نطاق أوسع، فهم لم يقتصروا في الاستفادة من هذه القوى على النطاق المحلي الضيق بل جندوها للسيطرة على بلاد واسعة والدخول في مواجهات مع قوى أخرى داخل الجزيرة العربية وخارجها.(١)

لقد أدت سياسة الأخيضريين هذه إلى نتائج سيئة على المنطقة تسببت في تدهورها اقتصادياً بعد نزوح كثير من القبائل المتحضرة إثر ما عانته من ظلم وجور وسوء معاملة من الأخيضريين وأتباعهم.

وكانت أكثر القبائل تأثراً بسياسة الأخيضريين هذه، قبيلة بني حنيفة التي كانت تقطن أخصب المناطق في وسط اليمامة، ولها اليد العليا فيها منذ العصر الجاهلي حتى قيام الدولة الأخيضرية في منتصف القرن الثالث الهجري. إضافة إلى بطون من قبيلة تميم وبخاصة تلك التي كانت تقطن المناطق المجاورة لبلاد بني حنيفة من جهة الشمال والشمال الغربي.

يقول ابن حوقل المتوفى بعد سنة ٣٦٧هـ (٩٧٨م) -وهو معاصر للأخيضريين- مبيناً سياسة الأخيضريين تجاه سكان المناطق التي حكموها وما أدت إليه: "وصادف ذلك دخول محمد بن يوسف الحسني الأخيضر اليمامة وانقشاع أهلها من جوره إلى أرض مصر والمعدن في آلاف كثيرة، فغلبوا على من كان بها من أهل الحجاز لسنتهم وفورهم".(٢)

ويقول أيضاً: "وأما اليمامة فواد والمدينة به تسمى الخضرمة دون مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي أكثر نخيلاً وتمراً من المدينة ومن الحجاز. وكانت قراراً لربيعة ومضر، فلما نزل عليها بنو الأخيضر جلت العرب منها إلى جزيرة مصر، فسكنوا بين النيل وبحر القلزم، وقرت ربيعة مضر هناك، وصارت لهم ولتميم كالدار التي لم يزالوا بها وابتنوا بها غير منبر".(٣)

ويقول ياقوت نقلاً عن تاريخ ابن سيرين: "وفيها -يعني في سنة ٣١٠هـ- انتقل أهل قرّان من اليمامة إلى البصرة لحيف لحقهم من ابن الأخيضر في مقاسماتهم، وجدب أرضهم، فلما انتهى خبرهم إلى أهل البصرة سعى أبو الحسن أحمد بن الحسين بن المثنى في مال جمعه لهم فقووا به على الشخوص

---

(١) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، (ت بعد٣٦٧هـ، ط١٩٧٩م)، مصدر سابق، ص٥٨.

(٢) المصدر السابق، ص٥٨.

(٣) المصدر السابق، ص٣٨.

إلى البصرة، فدخلوها على حال سيئة، فأمر لهم أميرها بكسوة ونزلوا بالمسامعة محلة بها". [١]

وهذا النص يدل على استمرار الأخيضريين في سياستهم حتى ذلك التاريخ، وقد أشرنا سابقاً إلى أن الذي كان يتولى زعامة الأخيضريين في ذلك التاريخ هو إسماعيل بن يوسف بن محمد.

وإذا كانت رغبة الأخيضريين في الحصول على الأموال لهم ولأتباعهم هي أحد أبرز الأسباب التي دفعتهم إلى فرض الإتاوات والتسلط على سكان المناطق التي حكموها، فإننا لا نستبعد أيضاً أن يكون لبعض العوامل الأخرى أثر في ذلك، مثل نقمة الأخيضريين على أهل المنطقة لعدم تقبلهم لمذهبهم الزيدي، وما كان لبعض أهل المنطقة مثل آل أبي حفصة من صلات بالعباسيين وما حدث من بعض شعرائهم من غمز وتعريض بالعلويين في أشعارهم تقرباً للعباسيين.

وعلى أي حال فقد أدت سياسة الأخيضريين هذه إلى نزوح أعداد كبيرة من سكان وسط اليمامة وبخاصة من بني حنيفة وتميم إلى مناطق أخرى داخل الجزيرة العربية وخارجها، ولعل هذه السياسة كانت أحد أهم الأسباب التي أدت إلى تغير التركيبة السكانية في المنطقة في الفترة الممتدة بين القرن الثالث والقرن السادس الهجريين، وبخاصة في وسط اليمامة حيث تحول بنو حنيفة من أكثرية غالبة إلى أقلية.

---

(١) الحموي، ياقوت، (ت٦٢٦هـ، ط١٣٦٧هـ)، مصدر سابق، ج٤، ص٣١٩.

obeikan.com

المبحث الثالث

علاقات الأخيضريين الخارجية

عاصر الأخيضريون خلال فترة حكمهم التي امتدت زمناً طويلاً قارب قرنين ونصف عدداً من الكيانات والقوى السياسية داخل الجزيرة العربية وخارجها، وللتعرف على طبيعة علاقات الأخيضريين بهذه القوى يلزم الباحث في ظل ندرة المعلومات عن الأخيضريين محاولة سد جزء من هذا الفراغ عن طريق تتبع مصادر تاريخ الأقاليم المجاورة، وأخبار الكيانات السياسية التي قامت فيها، لرصد أي خبر له صلة بالأخيضريين أو بلاد اليمامة، علاوة على الاستعانة بالاستنتاج المبني على ما تقتضيه مجريات الأحداث في المنطقة وما حولها.

وسوف نتناول موضوع علاقات الأخيضريين الخارجية من خلال الحديث عن علاقاتهم بالقوى المحلية المجاورة لهم، والقريبة من بلادهم أولاً، ثم عن علاقاتهم بكل من القوتين الكبيرتين المتنافستين في العالم الإسلامي آنذاك وهما العباسيون، والعبيديون (الفاطميون).

أولاً: علاقتهم بصاحب الزنج:

في عام ٢٥٥هـ (٨٦٩م) أي بعد قيام الدولة الأخيضرية بنحو سنتين، اندلعت في جنوب العراق ثورة عرفت بثورة الزنج، تزعمها رجل يدعى علي بن محمد زعم أنه من العلويين،[١] وأنه يسعى لاستعادة حق العلويين في الخلافة الذي استأثر به العباسيون. وقد استمرت ثورة الزنج هذه أربعة عشر عاماً وبضعة أشهر (٢٥٥-٢٧٠هـ/ ٨٦٩-٨٨٣م).

وما يهمنا هنا علاقة صاحب الزنج بالأخيضريين، وفي هذا الجانب لم نجد أية إشارة في المصادر إلى وجود علاقة أو اتصال بين الطرفين رغم أن كلاً منهما مناوئ للعباسيين، ورغم أن صاحب الزنج يدعي

---

(١) عرف هذا الرجل بصاحب الزنج، وأخبار ثورته مدونة بالتفصيل عند الطبري وغيره. (انظر: الطبري، محمد بن جرير، (٣١٠هـ، ط١٩٧٩م)، مصدر سابق، ج١١، ص ص١٧٤-٣٢٥). أما أمر دعواه النسب العلوي فليست مقبولة عند النسابين وهم يعدونه من الأدعياء. (ابن طباطبا، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقا، (ت٧٠٩هـ، ط د. ت)، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، دار صادر، بيروت، ص٢٥٠).

النسب العلوي، ويزعم أنه يعمل باسم العلويين، ورغم أن نفوذه وصل في بعض الفترات إلى مكة.[١]

وعلى أي حال فإن صاحب الزنج قدم خدمة كبيرة للأخيضريين ربما من حيث لا يقصد، فقد شغل الدولة العباسية، وكوّن حاجزاً بين مركزها في العراق ودولة الأخيضريين الناشئة في اليمامة، وهذا في حد ذاته يعد -من وجهة نظرنا- من أهم العوامل التي ساعدت الأخيضريين في تثبيت أقدامهم في بلاد اليمامة.

ثانياً: علاقتهم بقرامطة البحرين:

لم يمض وقت طويل بعد قضاء العباسيين على ثورة الزنج حتى ظهرت حركة القرامطة، وتمكن أبو سعيد الجنابي من إقامة دولة في بلاد البحرين عرفت بدولة قرامطة البحرين سنة ٢٨٦هـ (٨٩٩م). وبهذا أصبحت هذه الدولة أقرب القوى في الجزيرة العربية إلى بلاد الأخيضريين وأكثرها خطراً عليهم.

وقد أشرنا فيما سبق إلى أن العلاقات بين الطرفين بدأت بداية عدائية، فقد أفادت بعض النصوص أن أبا سعيد الجنابي بعد أن تمكن من إحكام سيطرته على البحرين وألحق الهزيمة بجيش الخلافة أخذ يتطلع إلى توسيع مناطق نفوذه في الأقاليم المجاورة ومنها اليمامة، ثم ما لبث أن هاجم الأخيضريين وألحق بهم الهزيمة وقتل عدداً منهم وأسر آخرين.

وقد فصلنا القول أثناء حديثنا عن فترات حكم الأخيضريين عن علاقتهم بالقرامطة في عهد أبي سعيد الجنابي، ثم في عهد ابنه أبي طاهر القرمطي وما حدث بينهم من معارك، وما نتج عنها من خضوع للقرامطة وتعاون معهم في بعض الفترات، وسيطرة تامة من قبل القرامطة على بلاد اليمامة في فترات أخرى، وما ذكرناه هناك يغني عن الإعادة.

أما عن علاقتهم بالقرامطة بعد ذلك، أي في الفترة الممتدة من سنة ٣٢٨هـ (٩٤٠م)، وهي السنة التي رجحنا أن الأخيضريين استعادوا فيها حكم بلادهم من القرامطة، حتى سقوط دولتهم فلا تتوافر لدينا معلومات عنها.

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، (٣١٠هـ، ط١٩٧٩م)، مصدر سابق، ج١١، ص٢٥٥؛ الفاسي، محمد بن أحمد، (ت٨٣٢هـ، ط١٩٨٥م)، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، ج٢، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ص٣٠٠-٣٠١.

ثالثاً : علاقتهم بالدولة الإسماعيلية في بلاد اليمن:

كانت بلاد اليمن من المناطق التي حظيت باهتمام كبير من قبل الزعامة الإسماعيلية في مرحلة الدعوة السرية، فوجهت إليها اثنين من أبرز دعاتها هما: أبو القاسم الحسن بن حوشب الكوفي الملقب "منصور اليمن" وعلي بن الفضل الحميري اليمني، وقد وصلا إلى اليمن في سنة ٢٦٨هـ (٨٨١م) وأخذا ينشران الدعوة، وتمكنا بعد ذلك من إقامة دولة إسماعيلية هناك عرفت بدولة قرامطة اليمن،(١) أو الدولة الإسماعيلية الأولى.(٢)

ولا يعنينا هنا سوى علاقة إسماعيلية اليمن بالأخيضريين وبلاد اليمامة، فقد أشارت بعض المصادر إلى أن دعاة الإسماعيلية في اليمن بعد النجاح الذي حققوه هناك تطلعوا لى مد دعوتهم إلى اليمامة وأرسلوا دعاة إليها،(٣) ولم تشر المصادر إلى مصير هذه المحاولة وهل لقيت قبولاً من الأخيضريين وأهل اليمامة أم لا.

لكننا نرجح أنها لم تلق قبولاً من الأخيضريين ولا من أهل اليمامة، بل لعل الأخيضريين ذهبوا إلى ما هو أبعد من ذلك فعدوها محاولة معادية لهم مذهبياً وسياسياً، وبالتالي سعوا لمحاربتها. إذ من المعروف أن هناك عداءً مستحكماً بين المذهبين الزيدي والإسماعيلي بسبب اختلافهما في أمور كثيرة منها ما يتصل بنظرتهما للإمامة والزعامة، وقد نشب بين أتباع المذهبين في اليمن نفسها صراع مرير وحروب متواصلة آنذاك.(٤) ولهذا ليس مستغرباً أن يرفض الأخيضريون هذه الدعوة.

---

(١) الجعدي، عمر بن علي، (ت بعد ٥٨٦هـ، ط د. ت)، **طبقات فقهاء اليمن**، تحقيق فؤاد سيد، دار القلم، بيروت، ص ص٧٥-٧٧؛ اليماني، يحيى بن الحسين بن القاسم، (ت١١٠٠هـ، ط١٩٦٨م)، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، ج١، تحقيق سعيد عاشور ومصطفى محمد زيادة، دار الكاتب العربي، القاهرة، ص ص١٦٥، ١٩٦.

(٢) الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، **اليمن في ظل الإسلام**، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ص١١٦-١١٩.

(٣) القاضي النعمان، (ت بعد ٣٤٦هـ، ط١٩٨٦م)، **افتتاح الدعوة**، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، ص١٨؛ وابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت٨٠٨هـ، ط١٩٧٩م)، مصدر سابق، ج٤، ص ص٣٠-٣١.

(٤) الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، مرجع سابق، ص ص١١٠-١١١.

كما أنه ليس مستغرباً أيضاً عدم تقبل أهل اليمامة للمذهب الإسماعيلي الباطني، لأن هذا المذهب يقوم على معتقدات باطلة، مثل صرف الأمور عن دلالاتها الظاهرة وتفسيرها تفسيراً باطنياً، ومبدأ التقية وغيره، وهذه كلها لا تتوافق مع طبيعة أهل هذه البلاد الذين جبلوا على حب الوضوح والصراحة.(١)

رابعاً: علاقاتهم بالدولة الزيدية في اليمن:

قامت الدولة الزيدية في اليمن سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م على يد يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي الحسني، حين توجه من موطنه في الحجاز إلى اليمن وأعلن قيام دولة زيدية في شمالها اتخذت من مدينة صعدة قاعدة لها، وأصبح يحيى أول أئمتها ثم تعاقب عليها أبناؤه وأحفاده.(٢)

ودولة الإمامة الزيدية في شمال اليمن تربطها صلات مذهبية بالأخيضريين، كما أن أئمتها تربطهم صلات نسب بالأخيضريين، فكلاهما من أحفاد الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب. ورغم ذلك لم نجد -فيما اطلعنا عليه من مصادر- أية إشارة إلى وجود علاقات بين الطرفين. هذا مع العلم أن تاريخ الأئمة الزيدية في بلاد اليمن يختلف تماماً من حيث مدى العناية بتدوينه عن تاريخ الأخيضريين، فقد حظي باهتمام كبير من المؤرخين اليمنيين وبخاصة من ينتمون إلى المذهب الزيدي، حيث دونوا تفصيلات كثيرة جداً عن حياة أئمتهم ونشاطاتهم السياسية والعسكرية.(٣)

ولعل انشغال الأئمة الزيدية في اليمن بشؤونهم الداخلية والصراع المستمر بينهم وبين القوى السياسية والمذهبية الأخرى في اليمن، ومن جانب آخر انعزال الأخيضريين وعدم حرصهم على إقامة صلات بالقوى المجاورة كل ذلك كان من أسباب عدم قيام علاقات بين الطرفين.

---

(١) العريني، عبدالرحمن بن علي، (١٤٠٣هـ)، **الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد وأثر الدعوة السلفية فيها منذ القرن العاشر الهجري حتى سقوط الدرعية**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص٤٠.

(٢) أحمد، حسن خضيري، **قيام الدولة الزيدية في اليمن**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص٦٥.

(٣) منهم على سبيل المثال؛ علي بن محمد بن عبيد الله العلوي، **سيرة الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين**، تحقيق سهيل زكار، بيروت ١٩٧٢م؛ ويحيى بن الحسين اليماني، **أنباء الزمن في أخبار اليمن**، تحقيق محمد عبدالله ماضي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

ولا نستبعد أيضاً أن الأخيضريين لم تكن لديهم الرغبة في الاتصال بالأئمة الزيدية في اليمن لأسباب سياسية، فالأخيضريون لم يتلقبوا بالأئمة، وليس لزعامتهم ثقل ديني عند أتباع المذهب الزيدي يوازي ما كان لأئمة الدولة الزيدية في اليمن. واتصالهم بهؤلاء الأئمة -والحال هذه- قد يترتب عليه قدر من التبعية الدينية أو السياسية، أو هما معاً، وهذا أمر لا يريده الأخيضريون.

خامساً: علاقاتهم بإمارتي الحسنيين والحسينيين بمكة والمدينة:

الحجاز هو موطن الأخيضريين الأول، وفيه كان يقيم كثير من أقاربهم العلويين من الحسنيين والحسينيين، وقد ظهرت فيه إمارة حسنية في مكة سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م،[١] أي بعد قيام الدولة الأخيضرية بأكثر من مائة سنة، وفي التاريخ نفسه ظهرت إمارة حسينية في المدينة المنورة.

ولا تمدنا المصادر بمعلومات تفيد قيام علاقات أو اتصالات بين الأخيضريين وأي من أمراء مكة الحسنيين أو أمراء المدينة الحسينيين، ولعل السبب يكمن في بعد اليمامة عن الحجاز وانعزالها، فقد كان الأعراب يسيطرون على مناطق واسعة تفصل مركز الأخيضريين في الخضرمة عن كل من مكة والمدينة،[٢] ثم إن ظهور إمارتي الحسنيين والحسينيين في مكة والمدينة جاء في فترة كان الأخيضريون فيها عبارة عن قوة إقليمية صغيرة ومنعزلة في وسط إقليم اليمامة لا يمتد نفوذها بعيداً عن مركزها في الخضرمة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الباحث التركي أيوب صبري باشا ذكر أن بني الأخيضر أقاموا حكومة لهم في بلاد اليمامة أولاً ثم سيطروا على مكة ونقلوا إمارتهم إليها، وأصبحوا يحكمون مكة واليمامة معاً، وقال: "وقد بلغ عدد الذين تولوا الإمارة منهم ثلاثة عشر شريفاً حكم ثلاثة منهم في بلاد اليمامة، والباقون حكموا أرض الحجاز بالإضافة إلى اليمامة"، ثم ذكر أسماء من تولى الإمارة منهم.[٣]

والباحث المشار إليه لم يذكر مصدر هذه المعلومات، وهي معلومات غريبة تخالف ما ورد في

---

(١) الفاسي، محمد بن أحمد، (ت٨٣٢هـ، ط١٩٨٥م)، مصدر سابق، ج٢، ص ص٣٠٦-٣٠٧.

(٢) خسرو، ناصر، (١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص ص١٣٧-١٣٩.

(٣) صبري باشا، أيوب، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، **مرآة الحرمين**، ترجمة أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسي، دار الرياض للنشر، ج١، الرياض، ص ص٨٦-٨٧.

المصادر التاريخية سواء تلك التي تحدثت عن الأخيضريين، أم تلك التي تخصصت في تاريخ مكة وتتبعت أسماء أمرائها بالتفصيل،[١] ولم يرد فيها شيء مما ذكره الباحث.

سادساً: علاقتهم بالعباسيين:

عندما ظهرت ثورة إسماعيل بن يوسف في الحجاز في منتصف القرن الثالث الهجري كانت موجهة ضد السلطة العباسية، وقد تصدت لها الخلافة العباسية كما أشرنا، وعندما انسحب محمد الأخيضر إلى اليمامة بعد هزيمته على يد الجيش العباسي، واستطاع الاستيلاء على جزء منها وأعلن قيام الدولة الأخيضرية فيها، كان ذلك على حساب اقتطاع جزء من أملاك الدولة العباسية، ورغم ذلك لم نجد ما يشير إلى أن الخلافة العباسية سعت للقضاء على الأخيضريين واستعادة البلاد التي استولوا عليها، ولعل ذلك يرجع لأسباب منها:

أ- حالة الضعف الشديد التي كانت تعيشها الخلافة العباسية آنذاك في ظل ازدياد نفوذ الأتراك وتسلطهم على الخلفاء، وكثرة المنافسات بينهم، مما أدى إلى اضطراب الأوضاع الداخلية وكثرة الفتن والثورات.

ب- أن منطقة اليمامة التي استولى الأخيضريون على جزء منها لا تتساوى في أهميتها مع منطقة الحجاز، بل هي في واقع الأمر من أقل المناطق أهمية في نظر الإدارة العباسية، ولذلك تصدى العباسيون للأخيضريين عندما كانوا في الحجاز، ولم يفعلوا مثل ذلك عندما انسحبوا إلى اليمامة.

ج- ظهور ثورات ودول مستقلة شغلت الخلافة، وأصبح بعضها بمثابة قوى فاصلة بين الأخيضريين ومركز الخلافة، مثل ثورة الزنج، ودولة القرامطة.

يضاف إلى ما سبق أن الأخيضريين انتهجوا سياسة تقوم على عدم استثارة الخلافة ضدهم، فقد اكتفوا بما سيطروا عليه من إقليم اليمامة ولم يسعوا إلى توسيع مناطق نفوذهم بما يهدد مناطق حيوية

---

(١) منها على سبيل المثال؛ كتاب **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** لتقي الدين الفاسي؛ **وإتحاف الورى في أخبار أم القرى** لنجم الدين بن فهد؛ **وغاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام** لعز الدين بن فهد.

بالنسبة للخلافة. فهم على سبيل المثال لم يسعوا لمد نفوذهم جهة الشمال حيث يمر طريق الحج العراقي، وهو أهم المصالح التي تحظى باهتمام الخلافة في نجد، كما أنهم لم يسعوا إلى مد نفوذهم جهة الغرب حيث موطنهم الأصلي بلاد الحجاز ذات الأهمية الكبيرة بالنسبة للخلافة.

ومع ذلك فلا شك أن العباسيين كانوا يرون أن الأخيضريين متمردون على سلطتهم وخارجون عن طاعتهم، ولعل استمرار العباسيين في ذكر ولاية اليمامة في سجلاتهم الرسمية وإسناد ولايتها ضمن ولايات أخرى إلى أحد الولاة، كما كان الأمر قبل قيام الدولة الأخيضرية، يعبر عن نظرتهم إلى كيان الأخيضريين بأنه كيان غير شرعي وأن اليمامة كلها تابعة للخلافة وإن لم يكن هذا متحققاً من الناحية الواقعية.

سابعاً: علاقتهم بالعبيديين (الفاطميين):

عندما قامت الدولة الأخيضرية سنة ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م كانت الدعوة الإسماعيلية التي تمخض عنها قيام الدولة العبيدية (الفاطمية) فيما بعد، لا تزال في مرحلة الدعوة السرية، وفي سنة ٢٩٧هـ/ ٩١٠م أعلن قيام الدولة العبيدية في شمال أفريقيا، واستمرت هناك حتى تمكن جوهر الصقلي من الاستيلاء على مصر سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م، وعقب ذلك بنحو أربع سنوات تحول مركز الدولة العبيدية إلى مصر.(١) وزادت حدة التنافس بين العباسيين والعبيديين على زعامة العالم الإسلامي والاستئثار بأكبر قدر من النفوذ في أرجائه بعامة وفي مناطق التماس بينهما بخاصة، ومنها الجزيرة العربية.

أما عن علاقتهم بالأخيضريين في اليمامة فإن المصادر التاريخية المتاحة لا تمدنا بما يشير إلى حدوث اتصال مباشر بين الطرفين، سوى تلك الإشارة المتعلقة بإرسال دعاة إلى بلاد اليمامة من قبل الداعي الإسماعيلي في بلاد اليمن الحسن بن حوشب. وقد تحدثنا عنها في العلاقات مع دولة الإسماعيلية في اليمن.

ويلاحظ أن هذه المحاولة تمت قبل إعلان قيام الدولة العبيدية، ويبدو أن فشلها كان أحد الأسباب التي جعلت العبيديين يصرفون النظر فيما بعد عن منطقة اليمامة، إضافة إلى أسباب أخرى منها:

---

(١) حسن، إبراهيم حسن، (١٩٨١م)، **تاريخ الدولة الفاطمية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ص٨٠، ٨٤، ١٤٢، ١٤٩.

١- بعد منطقة اليمامة عن مركزهم وبخاصة عندما كانوا في شمال أفريقيا، إضافة إلى أن هذه المنطقة ليست ذات أهمية كما هو الحال بالنسبة للحجاز واليمن، ولهذا لم تكن ميداناً من ميادين التنافس بينهم وبين خصومهم العباسيين.

٢- توقعهم عدم استجابة الأخيضريين الذين يعتنقون المذهب الزيدي للقبول بالتبعية لهم دينياً وسياسياً، لما بين المذهبين الإسماعيلي والزيدي من اختلاف كبير كما أشرنا من قبل.

ورغم أن المصادر لا تمدنا بما يكشف موقف أحد الطرفين من الآخر بشكل جلي، إلا أن ما حلّ بالأخيضريين على يد أبي سعيد القرمطي وابنه أبي طاهر من قتل وأسر وسبي، وعدم إنكار ذلك من قبل العبيديين مع أن كلاً من أبي سعيد وابنه كانا يظهران أنهما يعملان باسم الزعامة الإسماعيلية العبيدية،[1] يدل -في أقل تقدير- على عدم اهتمام العبيديين بالأخيضريين.

وخلاصة القول بعد هذه الدراسة التحليلية المفصلة عن علاقات الأخيضريين بالقوى المعاصرة، أن الأخيضريين كانوا يميلون إلى العزلة وعدم الاتصال بالقوى المجاورة، ولم يكن لديهم طموحات توسعية مثل القرامطة، كما أن أغلب الأطراف الأخرى لم تعرهم اهتماماً كبيراً ولم تسع لإقامة علاقات أو تحالفات معهم.

ولعل طبيعة المنطقة التي حكمها الأخيضريون كان لها أثر كبير في هذا كله، فهي منطقة فقيرة وقليلة الأهمية من جهة، ثم هي من جهة أخرى منطقة منعزلة يفصلها عن المناطق المجاورة حواجز طبيعية من بحار الرمال التي يصعب اجتيازها مثل النفود من جهة الشمال، والدهناء من جهة الشرق، والربع الخالي من جهة الجنوب، أما من جهة الغرب فهناك جبال العارض ومن ورائها فيافي عالية نجد القاحلة قليلة المياه.

وإذا كان هذا الموقع المنعزل وهذه الحواجز الطبيعية المحيطة به قد ساعدت في حماية الكيانات السياسية التي قامت فيه من الغزو الخارجي، فإنها في الوقت نفسه فرضت عليها قدراً كبيراً من العزلة، وبخاصة إذا كانت كياناً صغيراً وضعيفاً مثل الأخيضريين.

---

(١) الزامل، ناصر بن فوزان، (١٤٠٣هـ)، مرجع سابق، ص ص٤١١-٤١٢.

المبحث الرابع

حدود المنطقة التي حكمها الأخيضريون وسقوط دولتهم

أولاً: حدود المنطقة التي حكمها الأخيضريون وأوضاع المناطق التي لم تخضع لحكمهم:

في ظل ندرة المعلومات عن تاريخ منطقة اليمامة خلال الفترة التي حكم فيها الأخيضريون، لا تتوافر لدينا معلومات يمكن أن نحدد من خلالها بشكل قاطع حدود الرقعة التي حكمها الأخيضريون، ولهذا السبب نجد كثيراً من الباحثين عند الإشارة إليهم يذكرون أنهم حكموا اليمامة دون تحديد،(١) ومنهم من صرح بأنهم بسطوا نفوذهم على كافة اليمامة،(٢) ومنهم من ذكر أن نفوذهم امتد إلى مناطق مثل بلاد الأفلاج.(٣) وبلاد القصيم.(٤)

ومن خلال تتبع ما وصلنا من نصوص عن تاريخ الأخيضريين، وعن بلاد اليمامة في الفترة من القرن الثالث حتى أواخر القرن الخامس الهجري، يبدو لنا أن حكمهم كان محصوراً في جزء من بلاد اليمامة فقط، ومركز هذا الجزء هو منطقة جو الخضارم (الخرج) وقاعدته الخضرمة.

وأبعد منطقة من جهة الشمال ورد نص يدل على سيطرة الأخيضريين عليها هي بلد قرّان (القرينة حالياً). التي ذكر ياقوت أن أهلها نزحوا منها بسبب حيف لحقهم من بني الأخيضر،(٥) وهذا النص وإن كان لا ينفي أن نفوذ الأخيضريين لم يتعد هذا الحد شمالاً إلا أن أموراً أخرى تدفعنا إلى الاعتقاد أن

---

(١) الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص٦٩؛ الحديثي، نزار عبداللطيف، (١٩٧٧م)، مرجع سابق، ص١٣٢؛ الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، مرجع سابق، ص ص٤٦١-٤٦٢.

(٢) السويداء، عبدالرحمن بن زيد، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، **الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد**، ج١، دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض، ص٣١٧؛ ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، مرجع سابق، ج١، ص٤١.

(٣) الجذالين، عبدالله بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، **تاريخ الأفلاج وحضارتها**، الرياض، ص ص٨٦، ٩٥.

(٤) الجار الله، عبدالعزيز بن جار الله، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، **الاستيطان والآثار الإسلامية في منطقة القصيم**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ص٧١.

(٥) الحموي، ياقوت، (ت٦٢٦هـ، ط١٣٦٧هـ)، مصدر سابق، ج٤، ص٣١٩.

سيطرتهم لم تتجاوز هذا الحد كثيراً، ولعلها في أقصى اتساع لها لم تتجاوز منطقة وادي الفقي (سدير) شمالاً، ومعنى هذا أن الأطراف الشمالية لبلاد اليمامة وما يليها شمالاً من بلاد نجد لم تخضع لحكم الأخيضريين، ومما يدل على ذلك:

١- لم تشر المصادر التاريخية إلى أي سيطرة لهم على طريق الحج العراقي الذي يخترق منطقة القصيم، ويمر بالقرب من الحدود الجغرافية لمنطقة اليمامة من جهة الشمال، مع عناية هذه المصادر بذكر أحداث هذا الطريق وإيرادها أخبار تعرض الأعراب لقوافل الحجاج والقوات التي كانت ترافقها.(١)

٢- استمرار المصادر المعاصرة للأخيضريين في ذكر ولاة اليمامة من قبل العباسيين، وذكر من يسند إليه أمر طريق الحج كذلك. فقد أسندت ولاية اليمامة مضافة إلى البصرة وكور دجلة والبحرين في آخر عهد الخليفة المعتز (٢٥٢-٢٥٥هـ/ ٨٦٦-٨٦٩م) -أي بعد قيام الدولة الأخيضرية- إلى القائد العباسي سعيد بن صالح المعروف بالحاجب، وعهد إليه أيضاً بمحاربة صاحب الزنج، ثم خلفه في الولاية وفي المهمات الموكلة إليه القائد يارجوخ التركي، ثم أسندت ولاية البصرة وفارس والأهواز والبحرين واليمامة إلى الحارث بن سيما الشرابي، ثم القائد موسى بن بغا، ثم مسرور البلخي وقد استمر في منصبه فترة طويلة امتدت من سنة ٢٦١هـ (٨٧٥م) حتى سنة ٢٨٠هـ (٨٩٣م)، ثم أحمد بن محمد الواثقي حتى سنة ٢٨٦هـ (٨٩٩م)، ثم أسندت ولاية البحرين واليمامة إلى القائد العباسي العباس بن عمرو الغنوي وعهد إليه بمحاربة القرامطة.(٢)

وإضافة إلى هؤلاء الولاة الذين أشارت المصادر إلى إسناد ولاية اليمامة إليهم، فقد أشارت أيضاً إلى أشخاص آخرين أسند إليهم منصب "والي طريق مكة"،(٣) وهذا المنصب يختص بطريق الحج

---

(١) الطبري، محمد بن جرير، (٣١٠هـ، ط١٩٧٩م)، مصدر سابق، ج١١، ص ص٢٥٣، ٢٩٥، ٣٠٤، ٣٦٢، ٣٦٦.

(٢) الوشمي، صالح بن سليمان، (١٤١٢هـ)، مرجع سابق، ص ص١١٧-١١٨؛ الرشيد، منصور بن عبدالعزيز، (مخطوط)، **أوراق مطوية من تراث الجزيرة العربية**، (مخطوط)، ص ص٣٠-٣٣.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، (٣١٠هـ، ط١٩٧٩م)، مصدر سابق، ج١١، ص ص١٨، ٤٩، ٥٥، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٩٥، ٤٠١؛ القرطبي، عريب بن سعد، (ت٣٦٩هـ، ط١٩٧٩م)، **صلة تاريخ الطبري**، طبع ملحقاً بتاريخ الطبري، ج١٢، دار القلم، بيروت، ص ص٣١، ٦١.

العراقي، وتتمثل مهام من يتولى هذا المنصب في إصلاح الطريق وصيانة منشآته، إضافة إلى المشاركة في حماية قافلة الحاج من غارات الأعراب.[١]

وما يهمنا هنا أن هذا يدل على أن جزءاً من ولاية اليمامة التي كانت تشمل بالمفهوم الإداري آنذاك كل بلاد نجد لا زال يتبع الدولة العباسية وأن نفوذ الأخيضريين لم يمتد إليه، وهذا الجزء يشمل -في أقل تقدير- المناطق التي يمر بها طريق الحج العراقي.

هذا من جهة الشمال أما من جهة الجنوب فإن المؤرخ الهمداني وهو مؤرخ معاصر للأخيضريين ومن أهل الجزيرة العربية، لم يشر حين تحدث عن بلاد الفلج (الأفلاج) إلى وجود سيطرة أو نفوذ للأخيضريين بها، مع أنه فصّل الحديث عنها -نقلاً عن أحد أهلها-[٢] فذكر سكانها، وقلاعها، وحصونها، وعيونها، وسيوحها، ووصف مدينتها (الهيصمية) التي كانت تعد أحد أهم حواضر اليمامة في أواخر القرن الثالث الهجري ومطلع القرن الرابع،[٣] ووصف سوق الفلج فقال: "وسوق الفلج عليها أبواب الحديد وسمك سورها ثلاثون ذراعاً ومحيط به الخندق"، وبعد أن أشار إلى مدى قوة هذا السور وحصانته قال: "وفي جوف السوق مائتان وستون بئراً ماؤها عذب فرات يشاكل ماء السماء ولا يغيض، وأربعمائة حانوت".[٤] ووصف الهمداني للأفلاج وسوقها يدل على ازدهارها اقتصادياً في ذلك الزمان.

وبعد ذلك بأكثر من مائة عام وبالتحديد في الثالث والعشرين من شهر صفر سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م، وصل إلى الأفلاج الرحالة الفارسي ناصر خسرو، وانقطعت به السبل فأقام فيها أربعة أشهر، ووصف أحوالها وما شاهده فيها بقوله: "وتقع فلج هذه وسط الصحراء وهي ناحية كبيرة، ولكنها خربت بالتعصب. وكان العمران، حين زرناها، قاصراً على نصف فرسخ في ميل عرضاً. وفي هذه المسافة

---

(١) الوشمي، صالح بن سليمان، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، **الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي على منطقة القصيم**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ص٩٥-٩٦.

(٢) ذكر أنه استقى معلوماته عن شخص يدعى أحمد بن الحسن العادي الفلجي (صفة جزيرة العرب، ص٢٧٤).

(٣) الهمداني، الحسن بن أحمد، (ت٣٤٤هـ، ط١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص ص٢٧٢-٢٧٣؛ وانظر أيضاً؛ الماجد، عبدالله، (١٣٨٨هـ)، الهيصمية حاضرة الأفلاج القديمة، **مجلة العرب**، المجلد الثاني، السنة الثانية، ص ص٦٧٣-٦٧٩.

(٤) الهمداني، الحسن بن أحمد، (ت٣٤٤هـ، ط١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص٢٧٣.

أربع عشرة قلعة للصوص والمفسدين والجهلة. وهي مقسمة بين فريقين بينهما خصومة وعداوة دائمة. وقد قالوا نحن من أصحاب الرسيم[١] الذين ذكروا في القرآن الكريم. وهناك أربع قنوات يسقى منها النخيل. أما زرعهم ففي أرض عالية يرفع إليها معظم الماء من الآبار. وهم يستخدمون في زراعتهم الجمال لا الثيران، ولم أرها هناك. وزراعتهم قليلة. وأجر الرجل في اليوم عشرة سيرات[٢] من غلة، يخبزها أرغفة. ولا يأكلون إلا قليلاً من صلاة المغرب حتى صلاة المغرب التالية، كما في رمضان، ويأكلون التمر أثناء النهار. وقد رأيت هناك تمراً طيباً جداً أحسن مما في البصرة وغيرها. والسكان هناك فقراء جداً وبؤساء، ومع فقرهم فإنهم كل يوم في حرب وعداء وسفك دماء، وهناك تمر يسمونه ميدون تزن الواحدة منه عشرة دراهم. ولا يزيدون وزن النوى به عن دانق ونصف. ويقال إنه لا يفسد ولو بقي عشرين سنة. ومعاملتهم بالذهب النيشابوري. وقد لبثت بفلج هذه أربعة أشهر في حالة ليس أصعب منها. لم يكن معي من شؤون الدنيا سوى سلتين من الكتب، والناس جياع وعراة وجهلاء، ويلتزمون حمل الترس والسيف إذا ذهبوا للصلاة، ولا يشترون الكتب. وكان هناك مسجد نزلنا فيه، وكان معي قليل من اللونين القرمزي واللازورد، فكتبت على حائط المسجد بيت شعر ووضعت في وسطه ورق الشجر، فرأوه وتعجبوا وتجمع أهل القلعة كلها ليتفرجوا عليه. وقالوا لي: إذا تنقش محراب هذا المسجد نعطيك مائة من[٣] تمراً، ومائة منّ تمراً عندهم شيء كثير، فقد أتى، وأنا هناك، جيش من العرب وطلب منهم خمسمائة منّ تمراً فلم يقبلوا وحاربوا، وقتل من أهل القلعة عشرة رجال، وقلعت ألف نخلة ولم يعطوهم عشرة أمنان تمراً. وقد نقشت المحراب كما اتفقوا معي، وكان لنا في المائة منّ من التمر عون كبير، إذ لم يكن ميسوراً أن نجد غذاء، ولم يكن لدينا أمل في الحياة ولم نكن نستطيع أن نتصور خروجنا من هذه البادية، إذ كان ينبغي للخروج منها، عن أي طريق، اجتياز مائتي فرسخ[٤] من

---

(١) يقول الشيخ حمد الجاسر: لعلها أصحاب الرس الذين ذكروا في القرآن الكريم، وهذا ما نصّ عليه كثير من المفسرين وبعض المؤرخين.

(٢) السير؛ وحدة وزن تساوي خمسة عشر مثقالاً.

(٣) المنّ من التمر يساوي مائتين وأربعين كيلو جراماً، وهذا هو المعمول به عند أهل نجد في عصرنا هذا. وهناك قول بأن المنّ يساوي ستة عشر كيلو جراماً فقط وهذا يستخدم غالباً في وزن اللحم والسمن ونحوها.

(٤) الفرسخ؛ يساوي ثلاثة أميال، أي نحو خمسة أكيال.

الصحراء، كلها مخاوف ومهالك. ولم أر في الأشهر الأربعة التي أقمتها بفلج خمسة أمنان من القمح في أي مكان". (١)

ووصف ناصر خسرو هذا يدل على سوء الأوضاع الاقتصادية والأمنية في بلاد الأفلاج في الوقت الذي زارها فيه، كما يدل على وجود فراغ سياسي، وبالمقارنة بين ما ذكره الهمداني وما ذكره ناصر خسرو يتضح أنه حدث تغير كبير في الأوضاع الأمنية والاقتصادية في بلاد الأفلاج نحو الأسوأ ولا تتوافر لدينا معلومات تكشف أسباب هذا التغير، ولعل هجرة قبائل بني عامر التي كانت تمثل غالبية سكان هذه المنطقة إلى بلاد البحرين إثر تعاونها مع القرامطة خلال القرن الرابع الهجري، (٢) أدت إلى خلل في التوازن السكاني في المنطقة ونشوب منافسات وصراعات نتج عنها اختلال الأوضاع الأمنية والاقتصادية.

وعلى أي حال فإن كلاً من الهمداني وناصر خسرو لم يشيرا إلى نفوذ للأخيضريين في بلاد الأفلاج، وعندما تحدثا بعد ذلك عن منطقة الخرج أشارا إلى حكم الأخيضريين بها.

وهذا يجعلنا نرجح أن حكم الأخيضريين لم يصل في امتداده جنوباً إلى بلاد الأفلاج، وبالتالي لم يصل إلى منطقة السليل ووادي الدواسر التي تليها جنوباً، أي أن الجزء الجنوبي من اليمامة لم يخضع للأخيضريين، وبقي منعزلاً تتنازع فيه القوى المحلية في ظل فراغ سياسي إثر انحسار سيادة الخلافة العباسية عن تلك البلاد من الناحية الواقعية بسبب بعدها عن مركز الخلافة، وعدم أهميتها، ووجود قوى خارجة عن سلطة الخلافة مثل القرامطة في البحرين والأخيضريين في وسط اليمامة تفصلها عن مركز الخلافة.

كما أن الأطراف الغربية من اليمامة وما يليها من بلاد عالية نجد كانت هي الأخرى تحت سيطرة القوى القبلية المحلية، وقد أشار ناصر خسرو إلى ما يفيد ذلك حين مرّ بها في منتصف القرن الخامس في طريقه من الطائف إلى الأفلاج، فقال: "قالوا: ليس لهذه الناحية حاكم أو سلطان، فإن على كل جهة رئيساً أو سيداً مستقلاً، ويعيش الناس على السرقة والقتل وهم في حرب دائم بعضهم مع

---

(١) خسرو، ناصر، مصدر سابق، (١٩٨٣م)، ص ص١٣٩-١٤١.

(٢) الحميدان، عبداللطيف بن ناصر، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية، **مجلة الوثيقة**، العدد الثالث، السنة الثانية، مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين، ص٣٢.

بعض ". [١]

وأشار بعد ذلك إلى أنه كان يلزم لاجتياز أراضي أي قبيلة من القبائل التي تقطن تلك الديار استصحاب خفير منهم حتى لا يتعرض المسافر لسلب ما معه من مال ومتاع، أو ما هو أسوأ من ذلك. كما أشار إلى حالة الفقر والبؤس والخوف التي كانت تسود تلك البلاد. [٢]

وخلاصة القول أن الأخيضريين حكموا وسط اليمامة فقط، وأن أقصى اتساع لنفوذهم في فترة قوتهم لم يتجاوز المناطق التي كانت تقطنها قبيلة حنيفة، والأجزاء الجنوبية من المناطق التي كانت تقطنها قبيلة تميم، أي من جنوب منطقة جو الخضارم (الخرج)، حتى منطقة الفقي (سدير)، ثم انحسر نفوذهم ليقتصر على جو الخضارم وما حولها فقط، أما بقية أجزاء بلاد اليمامة وعالية نجد فلم تخضع لنفوذهم.

ثانياً: مدينتا حَجْر والخضرمة بين القرنين الثالث والسادس الهجريين:

كانت مدينتا حجر والخضرمة أهم المراكز الحضرية في وسط الجزيرة العربية في منتصف القرن الثالث الهجري، وتاريخ نشأة هاتين المدينتين يرجع إلى أبعد من ذلك بكثير، حين استقرت طسم في منطقة حجر، وجديس في منطقة جو الخضارم، وهما من العرب البائدة.

وقبيل ظهور الإسلام كانت المنطقتان من منازل بني حنيفة، وقد أخذت مدينة الخضرمة تنافس مدينة حجر على تبوء المكانة العليا والصدارة في إقليم اليمامة. [٣]

وبعد ظهور الإسلام وانتشاره أصبحت اليمامة ولاية تتبع مركز الدولة الإسلامية، وأصبحت مدينة حجر مركز هذه الولاية، وقاعدتها، ومقر ولاتها، يقول الدينوري (ت٢٨٢هـ/ ٨٨٥م) في معرض حديثه عن موقع حَجْر: "فهو اليوم قصبة اليمامة، وموضع ولاتها، وسوقها"، [٤] ويصفها الأصفهاني بأنها: "سرة اليمامة، وهي منزل السلطان والجماعة ومنبرها أحد المنابر الأولية: مكة، والمدينة،

---

(١) خسرو، ناصر، مصدر سابق، (١٩٨٣م)، ص١٣٨.

(٢) المصدر السابق، ص ص١٣٨-١٣٩.

(٣) الجاسر، حمد، (١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص ص٤٤-٤٥.

(٤) الدينوري، أبو حنيفة أحمد، (ت٢٨٢هـ، ط١٣٨٠هـ)، **الأخبار الطوال**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ص١٧.

واليمن، ودمشق، واليمامة، والبحرين، والكوفة، وجلّ أهلها بنو عبيد،[١] وبها من كل القبائل".[٢]

ويقول الحربي: "وهي مدينة اليمامة وأم القرى، وبها ينزل صاحب المملكة، وحجر شركة إلا أن الأصل لبني حنيفة، وهي بمنزلة البصرة والكوفة، لكل قوم بها خطة إلا أن العدد لبني عبيد".[٣] ويقول الهمداني: "أرض اليمامة حجر وهي مصرها ووسطها، ومنزل الأمراء منها، إليها يجلب الأشياء".[٤]

ولقد ازدهرت حجر ازدهاراً كبيراً في صدر الإسلام وكثر عدد سكانها وتوسع عمرانها بعد أن أصبحت عاصمة لولاية اليمامة، واشتهرت بسوقها الذي يعد من أشهر أسواق العرب في تلك الآونة،[٥] وتفوقت على منافستها الخضرمة، إلا أن الخضرمة بقيت مدينة مهمة ذات شأن في الإقليم أيضاً.

وعندما قدم الأخيضريون إلى اليمامة سنة ٢٥٣هـ/ ٨٦٧م واستطاعوا الاستقلال بجزء منها، اتخذوا الخضرمة قاعدة لهم، وعاصمة لدولتهم، ومنذ ذلك التاريخ اكتسبت الخضرمة أهمية خاصة، وأخذت تزدهر على حساب شقيقتها حجر التي أخذت شمسها في الأفول شيئاً فشيئاً ففقدت مكانتها وأهميتها في إقليم اليمامة منذ منتصف القرن الثالث الهجري حتى مطلع القرن السادس.[٦] وحلت محلها مدينة الخضرمة في الوظيفتين السياسية والتجارية، ففضلاً عن أن الخضرمة أصبحت قاعدة دولة الأخيضريين، فهي أيضاً أصبحت مركزاً تجارياً مهماً تلتقي فيه عدة طرق.

ثالثاً: هل زار ناصر خسرو الخضرمة أم حَجْر:

مرّ الرحالة الفارسي ناصر خسرو ببلاد اليمامة وهو في طريقه من الحجاز إلى الحسا (الأحساء) سنة

---

(١) بنو عبيد: بطن من حنيفة ينسبون إلى عبيد بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة.

(٢) الأصفهاني، الحسن بن عبدالله، (توفي نحو ٣١٠هـ، ط١٣٨٨هـ)، مصدر سابق، ص٢٧٥.

(٣) الحربي، إبراهيم بن إسحق، (ت٢٨٥هـ، ط١٩٨١م)، مصدر سابق، ص ص٦١٦-٦١٧.

(٤) الهمداني، الحسن بن أحمد، (ت٣٤٤هـ، ط١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص٢٧٤.

(٥) الجاسر، حمد، (أ١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص٤٢؛ ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، مرجع سابق، ج١، ص ص٤٢-٤٣.

(٦) الجاسر، حمد، (أ١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص٦٩

٤٤٣هـ/ ١٠٥١م وبقي في فلج (الأفلاج) أربعة أشهر كما أشرنا من قبل، ومنها صاحب قافلة متجهة إلى الأحساء ومرّ في طريقه بمدينة سماها اليمامة، وقد وصف الطريق الذي سلكه إليها من الأفلاج، ووصف المدينة نفسها فقال: "وتوجهنا في اتجاه مطلع بنات النعش (الدب الأكبر)، وكان الطريق مستوياً لا جبال فيه ولا مرتفعات، وكان ماء المطر متجمعاً حيثما كانت الأرض أشد صلابة، ومضت ليالي وأيام، ولم يبدُ في أي جهة أثر الطريق، إلا أنهم[1] كانوا يسيرون بالغريزة (بالسمع)، ومن الغريب أنهم كانوا يبلغون فجأة بئر ماء مع عدم وجود أي علامة.

وبالاختصار بلغنا اليمامة بعد مسيرة أربعة أيام بلياليها، وباليمامة حصن كبير قديم، والمدينة والسوق، حيث صناع من كل نوع، يقعان خارج الحضر وبها مسجد جميل. وأمراؤها علويون منذ القديم، ولم ينتزع أحد هذه الولاية منهم، إذ ليس بجوارهم سلطان أو ملك قاهر، وهؤلاء العلويون ذوو شوكة، فلديهم ثلاثمائة أو أربعمائة فارس، ومذهبهم الزيدية".

ثم يقول: "وباليمامة مياه جارية في القنوات، وفيها نخيل، وقيل إنه حين يكثر التمر يباع الألف منّ منه بدينار. ومن اليمامة إلى الحسا أربعون فرسخاً، ولا يتيسر الذهاب إليها إلا في وقت الشتاء حين تتجمع مياه المطر فيشرب الناس منها، ولا يكون ذلك في الصيف".[2]

ويلاحظ أن ناصر خسرو سمى المدينة التي زارها اليمامة ولم يذكر اسم الخضرمة أو حَجْر. ولعل هذا هو ما جعل كثيراً من الباحثين يظن أن الوصف لمدينة حَجْر ويورده في الحديث عنها،[3] في حين أورده آخرون كما جاء عند ناصر خسرو دون تحديد.

---

(١) يقصد الأعراب الذين استأجر منهم جملاً ضمن القافلة، وقد أشار إليهم قبل ذلك.

(٢) ناصر خسرو، (١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص ص١٤١-١٤٢.

(٣) الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، الرياض، **سلسلة هذه بلادنا**، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص٤٠؛ الغنيم عبدالله بن يوسف، (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، **جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري**، تحقيق ودراسة، ذات السلاسل، الكويت، ص١٤٤؛ السبيعي، إبراهيم، (١٤٠٧هـ)، **الجغرافيا التاريخية لمنطقة الرياض من خلال معجم البلدان**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ص ص٣١٤، ٣١٧؛ الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، بحث بعنوان الرياض مدينة ذات جذور راسخة في قلب التاريخ، **تطوير**، عدد ١٩ محرم ١٤١٧هـ، ص٩.

وفيما يظهر لنا أن المدينة التي زارها ناصر خسرو وسماها اليمامة ووصفها، هي مدينة الخضرمة عاصمة الأخيضريين، وأنه لم يمر بمدينة حَجْر، يدفعنا إلى هذا الاعتقاد عدة أمور أهمها:

١- صرح ناصر خسرو أن الطريق الذي سلكه من فلج (الأفلاج) إلى اليمامة كان مستوياً لا جبال فيه ولا مرتفعات، ومعالمه غير واضحة ومعنى هذا أنه سار في الطريق الموازي لحافة الدهناء عبر منطقة البياض، وهذا أحد طريقين بين فلج والخضرمة، أما الثاني فهو الطريق الداخلي عبر وسط اليمامة وهو يجتاز أودية ويمر بجبال ومرتفعات كثيرة.[١] ولو كان ناصر خسرو قد توجه إلى حجر فلا بد أن يمر في طريقه بمرتفعات وجبال حتى لو سلك الطريق الأول، ومنها جبال خنزير (الجبيل) على سبيل المثال. (شكل: ٢-٥-٣).

٢- صرح ناصر خسرو أيضاً أنه صاحب قافلة تحمل الأديم (الجلود المدبوغة) من فلج (الأفلاج) إلى الحسا، والطريق من الأفلاج إلى الأحساء يمر بمدينة الخضرمة، التي كانت آنذاك ملتقى عدة طرق، كما أنها كانت أقرب بلاد اليمامة إلى الأحساء.[٢] ومن الطبيعي أن تمر القافلة بالخضرمة أما حَجْر فليست على الطريق المتجه من فلج إلى الأحساء.

٣- صرح ناصر خسرو أن المدينة التي زارها: "أمراؤها علويون منذ القديم"، وأنها مركز لهؤلاء وبها تستقر قوتهم، وهو يعني الأخيضريين. ومعلوم أن مدينة الخضرمة هي قاعدة الأخيضريين ومركزهم. والأخذ برأي من يرى أن المدينة التي زارها ناصر خسرو هي حَجْر يقتضي أن الأخيضريين نقلوا قاعدتهم من الخضرمة إلى حجر وهذا ما لم يقم عليه دليل ولم يرد في المصادر ما يشير إليه.

٤- الأوصاف التي ذكرها عن وجود المياه الجارية في القنوات وكثرة النخيل تنطبق على الخضرمة والمناطق المجاورة لها، كما أن مقدار المسافة بينها وبين الأحساء التي قدرها ناصر خسرو بأربعين فرسخاً، ينطبق على الخضرمة أكثر من حجر لأنها الأقرب إلى الأحساء.

---

(١) ذكر هذين الطريقين الهمداني، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص ص٢٦٣-٢٦٤.

(٢) المصدر السابق، ص٢٥٢.

شكل (٢-٥-٣) الطريق الذي سلكه ناصر خسرو من الطائف إلى فلج (الأفلاج) ثم من فلج إلى الخضرمة فالأحساء

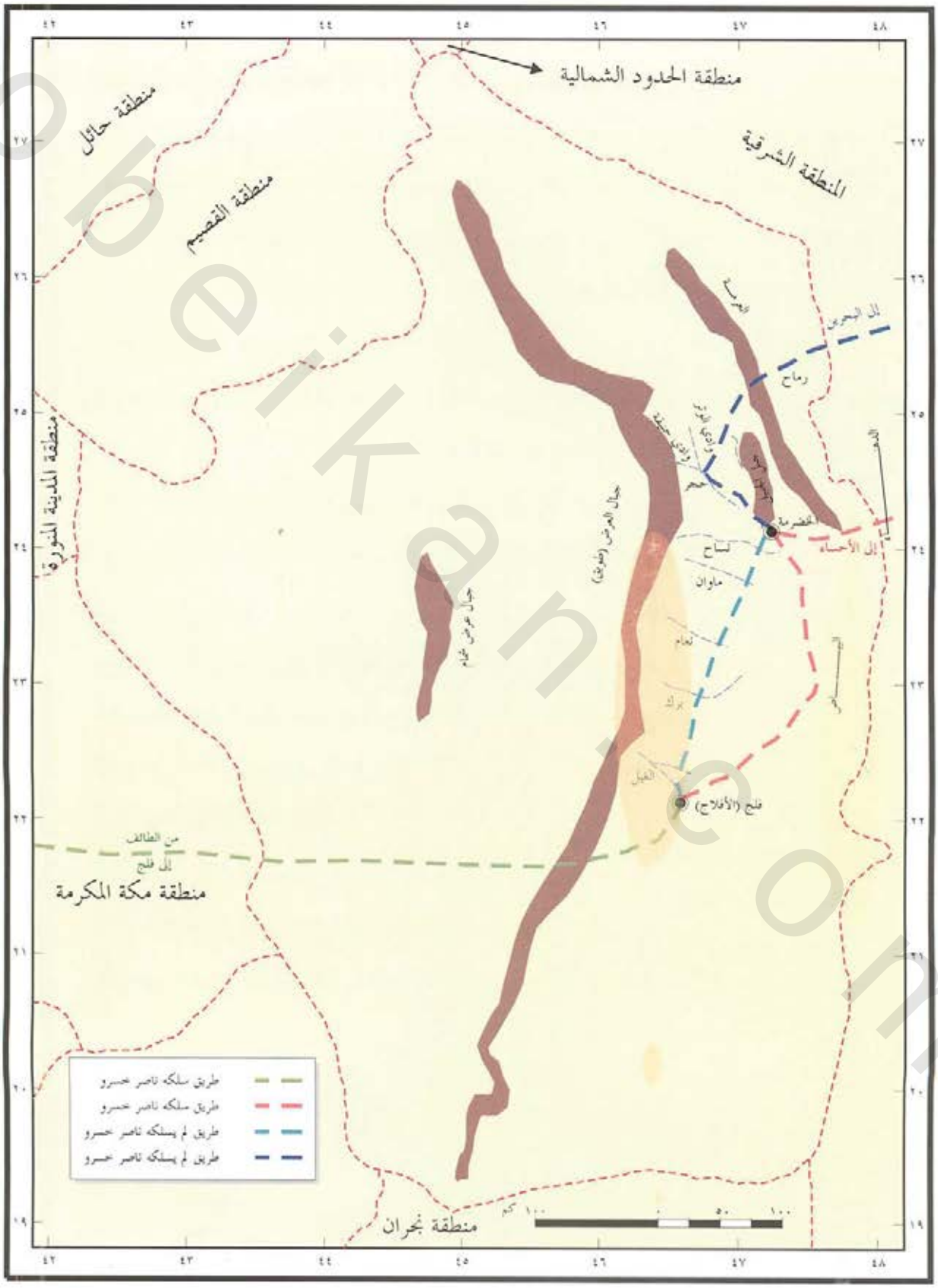

وبناءً على ما سبق فإننا نرى أن ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن الوصف لمدينة حَجْر وهم، ولعل السبب فيه يرجع إلى أن حجراً أطلق عليها، اسم اليمامة قبل عصر الأخيضريين وبعده، ولكن يلاحظ أن الخضرمة أطلق عليها هذا الاسم أيضاً.[١] ومن هنا يتضح أن إطلاق اسم اليمامة على حجر والخضرمة ليس على أنه علم على هذه أو تلك، وإنما هو من باب إطلاق اسم الإقليم على قاعدته وأكبر مدينة فيه، كما هو الحال بالنسبة لدمشق التي يطلق عليها أحياناً الشام، والقاهرة التي تسمى أحياناً مصر.

وحين مرَّ ناصر خسرو بإقليم اليمامة كانت أكبر مدينة فيه وأشهرها الخضرمة قاعدة الأخيضريين لذلك أطلق عليها في تلك الفترة اسم اليمامة، في حين كان يطلق هذا الاسم على حجر قبل ذلك حين كانت قاعدة الإقليم، وأطلق عليها بعد ذلك عندما اندثرت الخضرمة واستعادت حجر مكانتها في هذا الإقليم.

وعلى أي حال فقد استمرت الخضرمة قاعدة للأخيضريين وأشهر مدينة في إقليم اليمامة، حتى زالت الدولة الأخيضرية في أواخر القرن الخامس الهجري، وبزوالها ضعفت مدينة الخضرمة شيئاً فشيئاً حتى اضمحلت خلال القرن السادس الهجري.[٢] ويوجد الآن موقع أثري يسمى (البَنَّة) يقع في الجزء الشمالي الشرقي لبلدة اليمامة في منطقة الخرج، ويشغل مساحة واسعة تزيد على تسعة أكيال مربعة، يرجح أنه موقع مدينة الخضرمة، وقد أجرى أحد الباحثين دراسة على هذا الموقع[٣] وبيَّن أنه يحوي بقايا منازل تعود لفترات تاريخية مختلفة، وكذلك بقايا فخار وزجاج ومخلفات أثرية أخرى.[٤]

أما مدينة حَجْر فقد استعادت مكانتها بعد ضعف الخضرمة واندثارها وأصبحت هي أشهر مدينة في

---

(١) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، (ت بعد٣٦٧هـ، ط١٩٧٩م)، مصدر سابق، ص٣٨؛ ابن خلدون، عبدالرحمن، (ت٨٠٨هـ، ط١٩٧٩م)، مصدر سابق، ج٤، ص٢٢٥؛ الهمداني، الحسن، (ت٣٤٤هـ، ط١٩٨٣م)، مصدر سابق، ص٢٧٤؛ البكري، أبو عبيد، (ت٤٨٧هـ، ط١٩٧٧م)، مصدر سابق، ص٤٩.

(٢) الرشيد، منصور، مرجع سابق، (مخطوط)، ص ص٨٩-٩٠.

(٣) هو الدكتور عبدالعزيز بن سعود الغزي، عضو هيئة التدريس بقسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب، جامعة الملك سعود.

(٤) الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، الخرج، **سلسلة هذه بلادنا**، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، ص ص٥٩-٦٠.

إقليم اليمامة، وقد وصفها الحميري وهو من أهل القرن السادس (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)، بأنها قصبة اليمامة،[١] بمعنى أكبر مدينة فيها وأشهرها، وزارها الرحالة ابن بطوطة بعد ذلك في سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م ووصفها بأنها مدينة اليمامة وتسمى حجر وأنها مدينة حسنة خصبة ذات أنهار وأشجار.[٢]

رابعاً: سقوط الدولة الأخيضرية:

سبق أن أشرنا في مطلع حديثنا عن فترات حكم الأخيضريين باليمامة إلا أن هناك من يذهب إلى أن حكمهم قضي عليه مبكراً على يد القرامطة في العقد الثاني من القرن الرابع الهجري، أي أن دولتهم حسب هذا الرأي لم تعمّر سوى نحو من خمس وستين سنة فقط.

وبيّنا أن هذا رأي غير مقبول في ظل النصوص التي تشير إلى استمرار حكمهم بعد ذلك التاريخ، وقد أوردنا هذه النصوص في ثنايا حديثنا عن مراحل حكم الأخيضريين بما يغني عن الإعادة هنا.

أما آخر نص مؤرخ وصلنا عن الأخيضريين، فهو ما ذكره الرحالة ناصر خسرو الذي مرّ بقاعدة حكمهم الخضرمة سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م وقال عنهم: "أمراؤها علويون منذ القديم، ولم ينتزع أحد هذه الولاية منهم، إذ ليس بجوارهم سلطان أو ملك قاهر، وهؤلاء العلويون ذوو شوكة فلديهم ثلاثمائة أو أربعمائة فارس".[٣]

وما ذكره ناصر خسرو يستفاد منه أن أوضاعهم كانت مستقرة في ذلك التاريخ، وأنه لم يكن هناك قوة محلية أو خارجية قريبة منهم تهددهم أو تنافسهم على السيادة في منطقة نفوذهم، وأنهم يمتلكون قوة لا بأس بها وفق معايير المنطقة وأوضاعها آنذاك. ويلاحظ أن ناصر خسرو لم يذكر اسم أمير الأخيضريين في ذلك التاريخ، ولو فعل ذلك لأفادنا كثيراً في محاولة تحديد تاريخ سقوط الدولة الأخيضرية وأسبابه.

---

(١) الحميري، نشوان بن سعيد، (ت٥٧٣هـ، ط د. ت)، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تحقيق عبدالله الجرافي اليمني، عالم الكتب، بيروت، ج١، ص٣٩٥.

(٢) ابن بطوطة، محمد بن إبراهيم، (٧٧٩هـ، ط د. ت)، **رحلة ابن بطوطة**، دار صادر، بيروت، ص٢٨٠.

(٣) ناصر خسرو، (١٩٨٣م)، مصدر سابق، ١٤١-١٤٢.

ويبدو أنه وقع بعد ذلك صراع حاد على السلطة بين أبناء أبي المقلد جعفر بن أبي جعفر أحمد بن الحسن الأمير الثامن في سلسلة أمراء الأخيضريين. فقد قتل جعفر بن أبي المقلد جعفر أخاه الأمير محمداً واستولى على الإمارة، ثم ما لبث أن ثار عليه ابن أخيه كرزاب بن علي وقتله ثأراً لعمه محمد واستولى على الإمارة.(١)

ولعل هذا الصراع الداخلي على السلطة وما نتج عنه من انقسام كان السبب الرئيس في سقوط هذه الدولة. أما احتمال تعرضها لغزو خارجي فلم يرد في المصادر ما يشير إليه، ولهذا فهو أمر مستبعد.(٢)

أما عن تاريخ سقوط الدولة الأخيضرية على وجه التحديد فلا تمدنا المصادر بمعلومات عنه، وفي ظل غياب هذه المعلومات يمكن تحديد تاريخ تقريبي لسقوط هذه الدولة اعتماداً على بعض القرائن.

فمن خلال النظر في سلسلة نسب آخر أمراء الدولة الأخيضرية وهو كرزاب بن علي بن جعفر بن أحمد بن الحسن بن يوسف بن محمد (الأخيضر الصغير، مؤسس الإمارة)، نجد أن كرزاباً الذي سقطت الدولة في عهده هو السابع في سلسلة نسب الأسرة بدأ من مؤسس الدولة الأخيضرية محمد بن يوسف، أي أن كرزاباً من الجيل السابع في هذه الأسرة.

وبناءً على القاعدة التي يستخدمها بعض المؤرخين وعلماء الأنساب في تقدير الزمن في مثل هذه الحالات بتحديد مائة سنة لكل ثلاثة أجيال،(٣) يمكن تحديد تاريخ تقريبي لسقوط دولة الأخيضريين على

---

(١) ابن عنبة الحسني، أحمد بن علي، (ت٨٢٨هـ، ط د. ت)، مصدر سابق، ص٢١٤ هامش (١).

(٢) وردت إشارة عند بعض الباحثين تفيد أن الأخيضريين سقطت دولتهم على يد القرامطة سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م (ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، الدرعية، ص٤٢؛ ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، مرجع سابق، ص٤١؛ السويداء، عبدالرحمن، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، **الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد**، ج١، دار السويداء للنشر، الرياض، ص ص٣٠٧، ٣١٧). وهذا أمر مستبعد -من وجهة نظرنا- فالقرامطة كانوا قبل ذلك بزمن قوة محلية ضعيفة انحصر نفوذها في الأحساء فقط، والأهم من ذلك أن التاريخ المشار إليه (٤٦٧هـ) هو تاريخ القضاء على بقايا سلطة القرامطة على يد عبدالله بن علي العيوني مؤسس الدولة العيونية في البحرين. فكيف يمكن -والحال هذه- أن يقال بأن القرامطة قضوا على الأخيضريين في ذلك التاريخ وبسطوا نفوذهم على اليمامة.

(٣) ابن خلدون، عبدالرحمن، (ت٨٠٨هـ، ط١٩٧٩م)، مصدر سابق، ج١، ص١٤٣، وقد أثنى ابن خلدون على هذه القاعدة أو القانون كما سماه وقال إنه يأتي في الغالب بنتائج صحيحة. وانظر أيضاً: الجاسر، حمد، (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، أسماء أحياء مدينة الرياض القديمة، **مجلة العرب**، السنة ٢٣، المجلد١١، ١٢، ص٨٢٠؛ ابن عقيل الظاهري، أبو عبدالرحمن، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، **أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء**، دار اليمامة للنشر، الرياض، ج١، ص٢٦٣.

النحو التالي:

عمر الدولة الأخيضرية = ٧ (أجيال) × ١٠٠ / ٣ = ٢٣٣ ١/٣

إذن تاريخ سقوطها = ٢٥٣ (تاريخ قيامها) + ٢٣٣ (عمرها) = ٤٨٦هـ.

أي أننا نقدر أن تاريخ سقوط الدولة الأخيضرية كان في أواخر القرن الخامس الهجري وفي حدود التاريخ المشار إليه، لكننا نؤكد مرة أخرى أن هذا التحديد تقريبي تقديري غير مؤكد مبني على المعطيات المشار إليها.

أما عن مصير الأخيضريين بعد سقوط دولتهم فقد أورد ابن عنبة نصاً يتعلق بهذا الأمر قال فيه: "حدثني الشيخ المولى السعيد العلامة النقيب تاج الدين أبو عبدالله محمد بن معيّة الحسني،[١] أن إبراهيم بن شعيب اليوسفي حدثه أن بني يوسف الأخيضر مع عامر[٢] وعايد[٣] نحو ألف فارس يحفظون شرفهم ولا يدخلون فيهم غيرهم، لكنهم يجهلون أنسابهم ويقال لهم بنو يوسف".[٤]

ويبدو أن الأخيضريين تفرقوا بعد ذلك في أنحاء نجد وغيرها تحت ضغوط القوى الأخرى وظروف المعيشة، واندمجوا مع سكان المناطق التي حلّوا بها وتخلوا عن مذهبهم الزيدي.[٥] ولا تزال بعض

(١) تاج الدين بن معيّة الحسني؛ مؤرخ نسابة يعد من أبرز علماء الأنساب في عصره صنف عدداً كبيراً من الكتب في التاريخ والأنساب وغيرها، ومنها كتاب **نهاية الطالب في نسب آل أبي طالب**، توفي سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م. (ابن عنبة، مصدر سابق، ص ص٢٦٤-٢٦٨).

(٢) لعل المراد بني عامر الذين كان لهم شأن في شرقي الجزيرة العربية ووسطها في أواخر عصر القرامطة، ثم في عصر الدولة العيونية، ثم أصبحت له السيادة حين استولى عصفور بن راشد بن عميرة العامري على السلطة في الأحساء وأسس الدولة العصفورية.

(٣) لعل المراد بني عائذ وهم تحالف قبلي كان له شأن في وسط بلاد اليمامة خلال القرن السابع الهجري وما بعده، وسوف ترد الإشارة إليهم لاحقاً.

(٤) ابن عنبة، مصدر سابق، ص٢١٦.

(٥) ورد في كتاب **إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر**، المنسوب إلى شعيب بن عبدالحميد الدوسري (١٣٦٥هـ)؛ أن أحد أحفاد الأخيضريين ويدعى حمود بن يوسف بن الحسن الأخيضري قد تغلب على اليمامة وما جاورها في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ثم خلفه ولداه من بعده مبارك وعطيفة، وزعم الكاتب أن حي العطايف بمدينة الرياض ينسب إلى عطيفة هذا. (طبعة مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٦٥هـ، ص٢٠٧). لكن هذا الكتاب لا=

الأسر في نجد في عصرنا هذا تحتفظ بانتسابها للأخيضريين من حيث أصولها العرقية.[١]

= يوثق بما ورد فيه لكثرة ما حواه من الافتراءات والتزوير، وللشك في حقيقة مؤلفه أو مؤلفيه (انظر عن موضوع نسبة هذا الكتاب لشعيب الدوسري، وما ورد فيه؛ ابن عقيل الظاهري، أبو عبدالرحمن، (١٤١٤هـ)، بلادنا والتاريخ المصنوع، **جريدة الجزيرة**، العدد ٧٦١٨، السبت ١٩/ ٢/ ١٤١٤هـ؛ وشعيب المفترى عليه، الجريدة نفسها، العدد ٧٦١١، السبت ١٢/ ٢/ ١٤١٤هـ؛ وخرافات إمتاع السامر، الجريدة نفسها، العدد ٧٦٠٤، السبت ٥/ ٢/ ١٤١٤هـ).

(١) ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، مرجع سابق، ج١، ص٣٩؛ الحقيل، حمد بن إبراهيم، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، **كنز الأنساب ومجمع الآداب**، مطابع النهضة، الرياض، ص١٤٠.

obeikan.com

obeikan.com

المبحث الخامس

تاريخ المنطقة من القرن السادس حتى قيام إمارة الدرعية سنة ٨٥٠هـ (١٤٤٦م)

تعد هذه الفترة أكثر فترات تاريخ منطقة اليمامة غموضاً، فالمعلومات المتوافرة عنها نادرة وتفتقر إلى الوضوح والانتظام، ولذلك يمكن القول أننا نفتقد الحد الأدنى الذي يمكن من خلاله إعطاء صورة واضحة عن تاريخ المنطقة في تلك الفترة، وقد عبر عن هذا الرواد المهتمون بتاريخ هذه البلاد، يقول عبدالله بن خميس متحدثاً عن تاريخ اليمامة خلال هذه الفترة: "ومن ثم عمي الكثير من حلقات تاريخها قروناً متعاقبة تحكمها القبيلة وتسودها الفوضى والاضطراب حقبة عمياء مجهولة التاريخ مفقودة الأثر". (١)

وقد وصف حمد الجاسر هذه الفترة في حديثه عن تاريخ مدينة الرياض بأنها فترة مجهولة التاريخ، (٢) وقال عن تاريخ اليمامة بعامة: "ثم نجد فجوة في تاريخ البلاد من القرن الرابع إلى القرن التاسع". (٣)

أما عبدالله الشبل فقد أشار إلى ندرة المصادر عن تاريخ نجد قبل قيام الدولة السعودية وبخاصة خلال الفترة التي تلت سقوط الدولة الأخيضرية حتى منتصف القرن العاشر وقال: "أما الصعوبة الأكثر عنتاً التي تواجه الدارس أو الباحث في تاريخ نجد فهي ندرة المصادر وربما انعدامها، خاصة عن الفترة الواقعة بين سقوط الدولة الأخيضرية بعد منتصف القرن الخامس الهجري ومنتصف القرن العاشر الهجري، حيث لن يجد أي مصدر متخصص يتناول تاريخ هذا الجزء من جزيرة العرب بأدنى حظ من

---

(١) ابن خميس، عبدالله، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، **الدرعية**، مطابع الفرزدق، الرياض، ص٤٢، وورد مثل ذلك أيضاً عند المؤلف نفسه، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، مرجع سابق، ج١، ص ص٤١، ٣٠٣.

(٢) الجاسر، حمد، (أ١٣٨٦هـ)، مرجع سابق، ص٧٧.

(٣) المرجع السابق، ص٢٨٣.

التفصيل."[١]

ووصفها عبدالرحمن السويداء بأنها: "معتمة تماماً إلا من بعض الومضات الخافتة التي لا تعطي الدلالة المطلوبة"،[٢] وقال محمد الشويعر: "إلا أن نجداً خلال هذه الفترة وما تلاها قد أسدل عليها ستار قاتم حجزت بموجبه المعلومات التاريخية. اللهم إلا نتفاً يسيرة تأتي في أماكن متناثرة".[٣]

وعلى أي حال فسوف نحاول إعطاء صورة عن تاريخ هذه الفترة اعتماداً على ما توافر عنها من معلومات -وإن كان قليلاً ولا يخلو من التناقض أحياناً- وذلك من خلال الحديث عن القوى المحلية في المنطقة أولاً، ثم عن نفوذ القوى الخارجية المجاورة لها في تلك الفترة.

أ- القوى المحلية في المنطقة:

سبق أن أشرنا في حديثنا عن حدود المنطقة التي حكمها الأخيضريون، وأوضاع المناطق التي لم تخضع لحكمهم إلى أن أجزاء من بلاد اليمامة، وبلاد عالية نجد كانت تعيش فراغاً سياسياً في ظل عدم وجود حكم مركزي، مما أدى إلى سيطرة القوى المحلية وتنازعها، وأوردنا ما يدل على ذلك من كلام الرحالة ناصر خسرو الذي مر بالمنطقة في منتصف القرن الخامس الهجري.

وبعد سقوط الدولة الأخيضرية لم يقم كيان إقليمي منظم -فيما نعلم- يحكم بلاد اليمامة، وفي الوقت نفسه لم يعد إليها الحكم المركزي للخلافة العباسية، بسبب ضعف الخلافة من ناحية، وعدم أهمية المنطقة وانعزالها من ناحية أخرى، وبهذا أصبحت كل هذه البلاد تعيش حالة من الاضطراب والفوضى السياسية والأمنية، قريبة الشبه بما كان سائداً في العصر الجاهلي. فالصراع بين القوى المحلية

---

(١) الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٤٠٤هـ)، من مصادر تاريخ نجد، تاريخ ابن عباد دراسة وتحقيق، **مجلة مركز البحوث**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد الثاني، ص ٩٧. وانظر أيضاً للمؤلف نفسه (د.ت.)، مقدمة تحقيق كتاب **الأخبار النجدية للفاخري**، لجنة البحوث والتأليف والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ص ص ١٩-٤٤. وقد أورد الباحث دراسة قيمة عن أسباب الشح في مصادر تاريخ نجد.

(٢) السويداء، عبدالرحمن، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، مرجع سابق، ج١، ص٥.

(٣) الشويعر، محمد، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، مرجع سابق، ص١٠.

دائم، والنهب والسلب والقتل شائع، والجهل والفقر والخوف يضرب بأطنابه، وقد يكون لبعض القبائل أو القوى سيطرة نسبية بسبب قوتها في فترة من الفترات، ثم لا تلبث قبيلة أو قوة أخرى أن تنتزع منها تلك الزعامة النسبية وهكذا. هذه صورة عامة لحالة ظلت سائدة في هذه المنطقة خلال هذه الفترة، والفترة التالية لها، حتى قيام الدولة السعودية الأولى.

أما عن تتبع أبرز القوى التي ظهرت في المنطقة من خلال إشارات المصادر فقد ذكر ابن خلدون نقلاً عن ابن سعيد المغربي[١] قوله وهو يتحدث عن بني عامر في بلاد البحرين: "وملكوا أيضاً أرض اليمامة من بني كلاب، وكان ملوكهم فيها لعهد الخمسين والستمائة بني عصفور"،[٢] وذكر القلقشندي مثل ذلك أيضاً.[٣]

ويمكن أن يفهم من هذا النص أن بني كلاب كان لهم نفوذ وغلبة وسيطرة في بلاد اليمامة بعد الأخيضريين، وبنو كلاب هؤلاء هم بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهم بني قيس عيلان بن مضر، ويؤيد هذا ما ورد في نص آخر عن ابن سعيد قال فيه: "سألت عرب البحرين وبعض مذحج لمن اليمامة اليوم، فقالوا لعرب من قيس عيلان وليس لبني حنيفة بها ذكر".[٤]

وكان بنو كلاب يقطنون عالية نجد في القرن الثالث الهجري، وقد تحدثنا عن فروعهم ومواطن كل فرع وطبيعة معيشتهم في مطلع هذا البحث، وبنو كلاب كانت تربطهم صلة مصاهرة بالأخيضريين، وقد أشرنا من قبل إلى إنه من المحتمل أنهم ساعدوا الأخيضريين في تأسيس دولتهم في اليمامة، ولعلهم أيضاً كانوا من أبرز القوى البدوية التي تعاونت مع الأخيضريين بعد ذلك في إحكام سيطرتهم على

---

(١) هو علي بن موسى بن عبدالملك بن سعيد المغربي، أديب شاعر، ورحالة مؤرخ، ولد في سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م، وتوفي سنة ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م، وقيل سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م، زار المشرق عدة مرات، وله مؤلفات كثيرة. (الكتبي، محمد بن شاكر، (ت٧٦٤هـ، ط د. ت)، **فوات الوفيات والذيل عليها**، ج٣، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ص ص١٠٣-١٠٦).

(٢) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، مصدر سابق، ج٦، ص١٢؛ ج٢، ص٣١٣.

(٣) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت٨٢١هـ، ط د. ت)، مصدر سابق، ص٣٣؛ نفسه، (١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م)، **قلائد الجمان في التعريف بعرب الزمان**، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ص١٢٠.

(٤) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، مصدر سابق، ج٤، ص٢٢٥؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت٨٢١هـ، ط د. ت)، مصدر سابق، ج٥، ص٦٠.

وقد أشرنا من قبل إلى إنه من المحتمل أنهم ساعدوا الأخيضريين في تأسيس دولتهم في اليمامة، ولعلهم أيضاً كانوا من أبرز القوى البدوية التي تعاونت مع الأخيضريين بعد ذلك في إحكام سيطرتهم على المناطق التي حكموها. وبعد سقوط الدولة الأخيضرية من المرجح أن أعوانهم من بني كلاب حلوا محلهم وأصبحوا أبرز القوى المحلية في المنطقة خلال القرن السادس وأول القرن السابع.

ومنذ مطلع القرن السابع بدأت تتشكل في المنطقة قوة محلية أخرى (متحالفة) ما لبثت أن أصبح لها مكانة وسيطرة على أجزاء واسعة من منطقة اليمامة، فبنو حنيفة سكان قلب اليمامة الأصليين الذي تأثروا أكثر من غيرهم بسياسة الأخيضريين، وفقدوا مكانتهم بسببها، أخذوا يستأنفون شيئاً من نفوذهم في المنطقة على ضعف في أول الأمر، متحالفين مع قوى أخرى.

يقول ياقوت الحموي وهو ممن عاشوا في القرن السادس الهجري ومطلع القرن السابع: "أخبرنا بدوي من أهل تلك البلاد أن الوشم خمس قرى، عليها سور واحد من لبن،[١] وفيها نخل وزرع لبني عائذ، لآل مزيد، وقد[٢] يتفرع منهم، والقرية الجامعة فيها ثرمداء، بعدها شقراء، وأُشيقر، وأبو الريش، والمحمدية".[٣]

ويقول ابن فضل الله العمري في بيانه لعرب العارض:[٤] "وعرب الخرج هم العقفان والبرحان ومن بلادهم البريك والنعام، وهما قريتان في واد منيع، إذا حصن مدخله بسور كان أمنع بلاد الله. قال ابن عرام: وإلى هذا الوادي أزمع تنكز[٥] على الهرب حين خاف من الملك الناصر، وعليه طريق ركب

---

(١) أشار الشيخ حمد الجاسر إلى أن الصواب "على كل قرية سور"، (الجاسر، حمد، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ج٢، الرياض، ص٥٣٥). وهذا صحيح فمن غير المعقول أن تحاط هذه البلاد بسور واحد مع تباعدها ووجود جواجز طبيعية بينها.

(٢) لعل الصواب "ومن".

(٣) الحموي، ياقوت، (ت٦٢٦هـ، ط١٣٦٧هـ)، مصدر سابق، ج٥، ص٣٧٨. والقرى الثلاث الأولى معروفة بأسمائها حتى الآن، أما أبو الريش والمحمدية فهي غير معروفة.

(٤) نشر ما يتعلق بقبائل العرب في القرنين السابع والثامن الهجريين في **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** بتحقيق دورتيا كرافولسكي (المركز الإسلامي للبحوث، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م)، بيروت). ونشر قبل ذلك في **مجلة العرب** تحت عنوان: "العرب في القرن السابع من كتاب مسالك الأبصار". والنص هنا من الكتاب المشار إليه مع مقارنته بما نشره الشيخ حمد الجاسر، وإثبات ما رأينا أنه الصواب من الكلمات المحرفة لأسماء البلدان في الهامش.

(٥) تنكز: هو أحد أمراء المماليك تولى نيابة الشام في عهد السلطان ناصر محمد بن قلاوون، وحظي بمكانة عالية لديه، وكان محمود السيرة، ثم تغير عليه السلطان واعتقله سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م، وقتل في معتقله في السنة نفسها (ابن حجر، أحمد بن علي، (ت٨٥٢هـ، ط د. ت)، **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، دار الجيل، بيروت، ص ص٥٢٠-٥٢٨).

الحسا، وعليه ممر الركب من الحسا والقطيف وفيه يقول بعضهم:

لعلك توطيني نعـــامـــاً وأهله ولو بان بالحـــجـــاج عنه طريق

عائذ بني سعد:[١] دارهم من حرمة إلى جلاجل، والتويب،[٢] ووادي القرى،[٣] وليس (المعنى) بالوادي المقارب للمدينة الشريفة النبوية -زادها الله شرفاً- ويعرف بالعارض ورماح والحفر.

قلت وحدثني أحمد بن عبدالله الواصلي، أن بلادهم بلاد خير، ذات زرع وماشية بقرى عامرة، وعيون جارية، ونعم سارحة، ولأرضهم بذلك الوادي سعة وحصانة، قال: وكان المظفر بيبرس الجاشنكير،[٤] اهتم بقصده واللحاق به والمقام فيه، وأن يكون فيه كواحد من أهله، مرتزقاً من سوائم الإبل والشاء. قال ثم انثنى رأيه عن ذلك آخر وقت، ولو وجه إليه وجهه كان أحمد لمنتجعه، وأدنى لعوده إلى صلاح الحال ومرتجعه.

وبنو يزيد: دارهم ملهم، وبنيان،[٥] وحجر، ومنفوحة، وصباح،[٦] والبرة، والعويند، وجو.

المزايدة: دارهم البخراء، وحرمة وهي حرمة أخرى غير التي تقدم ذكرها، وسبحة الذبيل،[٧] والحلوة، والهزيم، والبريك، والنعام، والخرج"[٨] (شكل: ٢-٥-٤).

---

(١) عند حمد الجاسر بنو سعيد وهو الصواب بدليل ما جاء في موضع آخر من كتاب مسالك الأبصار نفسه.

(٢) لعل المراد وادي الفقي (سدير) فهو من أكبر أودية المنطقة ولكن اشتبه الأمر على الراوي لعدم معرفته بالمنطقة.

(٣) هكذا ورد، وعند الجاسر التويم وهو الصواب، والتويم بلد معروف باسمه حتى الآن في سدير.

(٤) المظفر بيبرس الجاشنكير؛ هو السلطان الملك المظفر المملوكي، كان أحد كبار أمراء المماليك تدرج في المناصب حتى تولى السلطنة مدة قصيرة لم تتجاوز أحد عشر شهراً (٨٠٧-٧٠٩هـ/ ١٣٠٩-١٣١٠م)، وكان ذلك بعد أن تخلى الناصر محمد بن قلاوون عن السلطنة، لكنه ما لبث أن عاد إليها وقبض على بيبرس وقتله سنة ٧٠٩هـ/ ١٣١٠م. (ابن حجر، أحمد بن علي، (ت٨٥٢هـ، ط د. ت)، مصدر سابق، ج١، ص ص٥٠٢-٥٠٧).

(٥) عند الجاسر "بنبان"، وهو الصواب.

(٦) عند الجاسر "صياح"، وهو الصواب.

(٧) عند حمد الجاسر "وسيحة الدُّبيل" وهو الصواب، وهي رملة ممتدة تبدأ من عقيق عُقيل وتذهب مشملة إلى مقابلة فوهة برْك، وهناك تلتقي أودية عرض شمام الشرقية والجنوبية. (ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ج٢، مرجع سابق، ص٤٦).

(٨) العمري، أحمد بن يحيى، (ت٧٤٩هـ، ط١٩٨٥م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق دوروتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ص ص١٤٩-١٥١.

وقبل ذلك أشار ابن فضل الله العمري إشارة مهمة إلى عائذ في أثناء حديثه عن القبائل الموالية لآل فضل فقال: "وفرقة من عائذ، وهم آل يزيد وشيخهم ابن مغامس، والمزايدة، وشيخهم كليب بن أبي محمد، وبنو سعيد وشيخهم محمد العليمي، والدواسر وشيخهم رواء بن بدران". (١)

ومن خلال النظر في النصوص السابقة يتضح أنها تشير إلى قوة ظهرت في وسط اليمامة أطلق عليها اسم عائذ، وقد بيّن العمري أن كلاً من آل يزيد، وآل مزيد، والدواسر، وبني عائذ بن سعيد، ينضوون تحت عائذ، وذكر شيخ كل فئة منهم ومنازلهم.

ومن المعلوم أن آل يزيد وآل مزيد من بني حنيفة، ولا تزال بعض الأسر في عصرنا هذا تنتمي إليهم. (٢) أما الدواسر فهم قبيلة معروفة ترجع بعض فروعها إلى الأزد من قحطان وبعضها إلى تغلب من عدنان. (٣)

وبنو عائذ قبيلة معروفة أيضاً، أرجح الأقوال فيها أنها ترجع إلى عبيدة من جنب قحطان. (٤) فكيف يطلق على هؤلاء جميعاً مع اختلاف أصولهم اسم عائذ وينسبون إليها؟

الذي نراه أن عائذ التي ذكرها العمري، وذكر فروعها التي أشرنا إليها هي تحالف سياسي بين فروع من قبائل متعددة، ترجع إلى ثلاث قبائل هي: عبيدة قحطان، وحنيفة، والدواسر. ولعل إطلاق اسم عائذ على هذا الحلف يرجع إلى أن عائذ القحطانية كانت أقوى المتحالفين في ذلك الزمان. وظاهرة الأحلاف ظاهرة معروفة قبل هذا الزمان وبعده. (٥)

---

(١) المصدر السابق، ص١١٦.

(٢) ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد**، تحقيق حمد الجاسر، ص٣٥؛ الجاسر، حمد، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، مرجع سابق، ج١، ص ص٢٦٢-٢٦٣؛ ج٢، ص٩٧٦؛ ابن خميس، عبدالله، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، مرجع سابق، ج٤، ص١٨٣.

(٣) ابن خميس، عبدالله، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، مرجع سابق، ج٤، ص ص٥٦-٥٨.

(٤) الجاسر، حمد، (١٤٠١هـ)، مرجع سابق، ج٢، ص٥٣٥.

(٥) يلاحظ أن كثيراً من القبائل المعروفة الآن هي في جذورها الأولى تحالفات لا ترجع إلى أصل عرقي واحد، فالدواسر مثلاً بعضهم من قحطان وبعضهم من عدنان، وكذلك مطير وعتيبة وسبيع كلها ترجع إلى أكثر من قبيلة.

شكل (٢-٥-٤) منازل بني عائذ وآل يزيد وآل مزيد في بلاد اليمامة في مطلع القرن الثامن الهجري
من واقع ما ذكره ابن فضل الله العمري

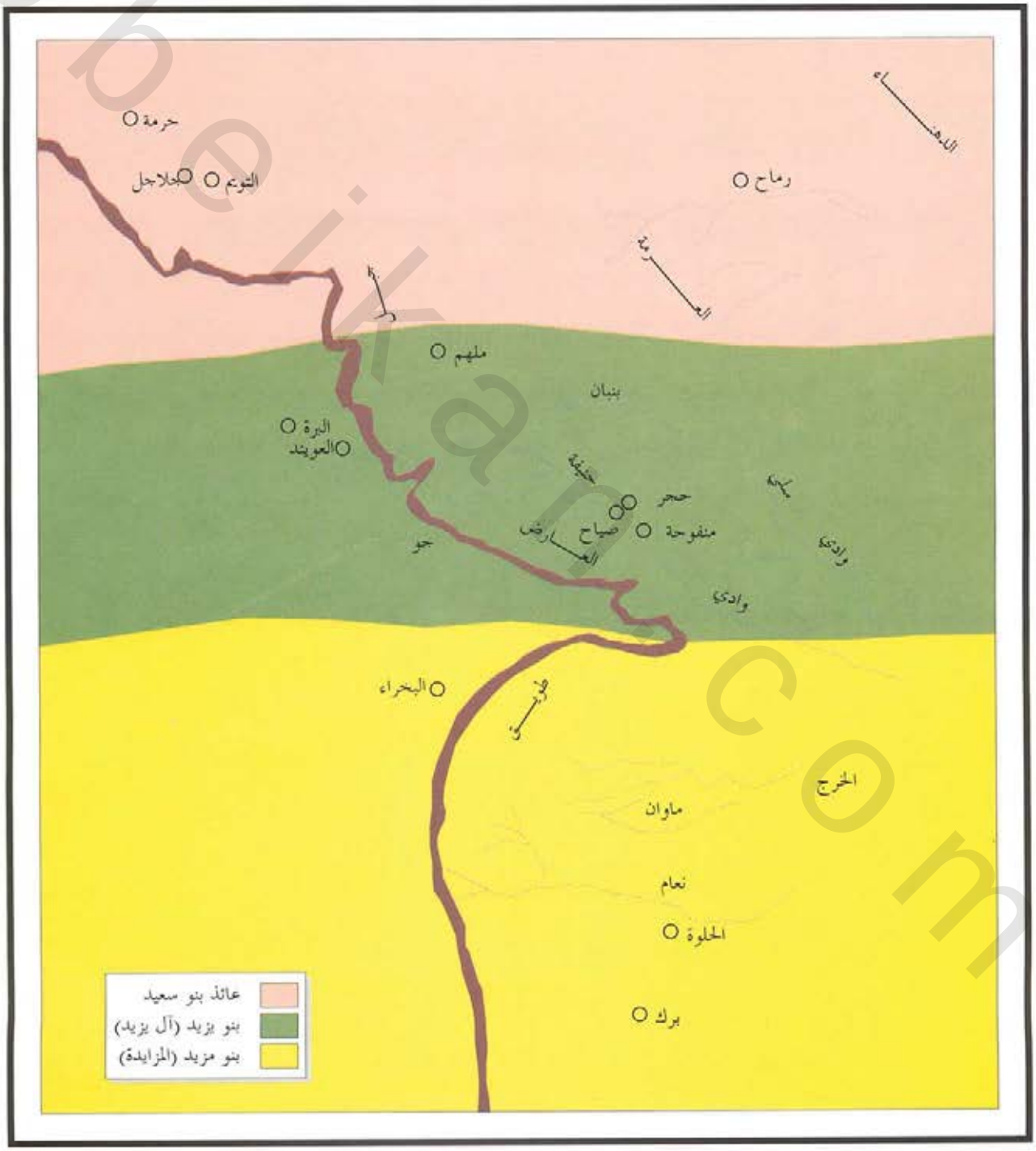

وبهذا يتضح أن نسبة آل يزيد وآل مزيد والدواسر إلى عائذ في المصادر المتقدمة وبعض المصادر المتأخرة التي نقلت عنها نسبة صحيحة باعتبار الحلف الذي تم بينها وجمعها، لا باعتبار أنها ترجع إلى أصل عرقي واحد.

وقد مر الرحالة المشهور ابن بطوطة بالمنطقة سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م وهو في طريقه إلى الأحساء من مكة، ووصفها بقوله: "ثم سافرنا منها -يعني الأحساء- إلى مدينة اليمامة، وتسمى أيضاً بحَجْر، مدينة حسنة خصبة ذات أنهار وأشجار، يسكنها طوائف من العرب أكثرهم من بني حنيفة، وهي بلدهم قديماً، وأميرهم طفيل بن غانم، ثم سافرت منها صحبة هذا الأمير برسم الحج". (١)

ومن خلال النظر والمقارنة بين النصوص الثلاثة التي أوردها كل من: ياقوت، وابن فضل الله العمري، وابن بطوطة، يمكن أن نخرج بما يلي:

١- عودة بني حنيفة للظهور في المنطقة منذ مطلع القرن السابع الهجري كما أشار ياقوت، (٢) ثم تطور أمرهم حتى أصبح نفوذهم يشمل بلاداً واسعة في وسط اليمامة ممثلة في مواطن استقرار آل يزيد وآل مزيد التي ذكرها العمري، وهي تشمل معظم المنطقة التي كانت تسيطر عليها قبيلة حنيفة في القرن الثالث الهجري. وعودة مدينة حجر إلى الصدارة في المنطقة خلال القرن الثامن، في ظل سيادة بني حنيفة، كما ذكر ابن بطوطة.

٢- قدوم قبائل أخرى إلى المنطقة منها بني عائذ بن سعيد القحطانية وهؤلاء يرجح أنهم قدموا إلى المنطقة قبل القرن السابع الهجري أو في مطلع هذا القرن، ومعلوم أن بلادهم الأصلية هي منطقة سراة عبيدة وما حولها. (٣) ومن المرجح أيضاً أن الدواسر الذين ضمهم حلف عائذ قدموا إلى بلاد اليمامة في تاريخ مقارب. ولم يشر العمري إلى مركز استقرار الدواسر، ولكن يبدو أنهم استقروا في البلاد التي تلي منازل آل مزيد جنوباً أي في أقصى جنوب اليمامة، حيث عرف وادي عقيق عُقَيْل بوادي الدواسر فيما بعد نسبة إليهم، وأصبح لهم شأن وذكر في هذه المنطقة فيما بعد.

---

(١) ابن بطوطة، محمد بن إبراهيم، (ت٧٧٩هـ، ط د.ت)، مصدر سابق، ص٢٨٠.

(٢) أشار ياقوت إلى آل يزيد وهم من بني حنيفة.

(٣) الجاسر، حمد، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، مرجع سابق، ج٢، ص٥٣٥.

ويبدو لنا أن حلف عائذ الذي أشار إليه ابن فضل الله العمري ما لبث أن ضعف كحلف سياسي خلال القرن الثامن، وإن كانت أطرافه أصبحت قوى ذات شأن في المنطقة، كالدواسر في جنوب اليمامة، وآل يزيد وآل مزيد في وسطها.

أما بنو عائذ ابن سعيد الذين كانوا يسكنون شمال اليمامة وبخاصة منطقة سدير فيبدو أنهم نزحوا منها، يدل على ذلك ما ذكره عدد من مؤرخي نجد الذي تحدثوا عن إعادة إعمار بعض بلدان منطقة سدير مثل بلدة التويم، قال ابن لعبون: "وكانت بلد التويم قبل ذلك قد استوطنها أناس من عايذ بني سعيد بادية وحاضرة، ثم إنهم جلوا عنها ودَمَرَتْ، وعمرها مدلج[١] وبنوه وذلك سنة ٧٠٠هـ تقريباً". [٢]

وبلدة حرمه التي ذكر ابن لعبون أنها كانت "مياه وآثار ومنازل قد تعطلت من منازل بني سعيد بن عايذ"، فقدم إليها إبراهيم بن حسين بن مدلج من بلد التويم وعمرها وغرسها في سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٩م تقريباً. [٣]

ولا تتوافر لدينا معلومات عن أسباب رحيل بني عائذ عن هذه المنطقة ولا أين اتجهوا، ومن المحتمل أن رحيلهم كان لأسباب سياسية فربما تعرضوا لغزو من قوة أخرى مثل بني لام الذين كان لهم صولة ونشاط في شمال نجد ووسطه في تلك الآونة. [٤] أو أن ذلك كان لأسباب طبيعية اقتصادية بسبب الجفاف وغور المياه والقحط، فالمعروف عن منطقة سدير أنها تعتمد على المياه الجوفية، وفي حال

---

(١) مدلج بن حسين الوائلي؛ هو الجد الأعلى لأسرة آل مدلج المعروفة ومن تفرع عنها، وقصة انتقاله من بلد أشيقر إلى بلد التويم وإعماره لها مشهورة في كتب التاريخ النجدي. (انظر مثلاً: ابن لعبون، حمد بن محمد، (ت بعد ١٢٥٥هـ، ط١٤٠٨هـ)، **تاريخ حمد بن محمد بن لعبون**، مكتبة المعارف، الطائف، ص ص٩٢-٩٧).

(٢) ابن لعبون، حمد بن محمد، (ت بعد ١٢٥٥هـ، ط١٤٠٨هـ)، مصدر سابق، ص٩٦؛ وانظر أيضاً: ابن عيسى، (ت١٣٤٣هـ، ط١٩٦٦م)، مصدر سابق، ص ص٣٠-٣١.

(٣) ابن لعبون، حمد بن محمد، (١٤٠٨هـ)، مصدر سابق، ص٩٨؛ وانظر أيضاً: ابن عيسى، (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، مصدر سابق، ص٣١. وتاريخ إعادة إعمار التويم وحرمة الذي حدده ابن لعبون يحتاج إلى إعادة نظر ودراسة لأنه يظهر منه التعارض مع ما ذكره ابن فضل الله العمري، ولعله تم في أواخر القرن الثامن لا في أوله.

(٤) الجاسر، حمد، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، مرجع سابق، ج٢، ص ص٧٤٥-٧٥١؛ ابن خميس، عبدالله، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، مرجع سابق، ص ص٧٢-٧٣.

انحباس الأمطار عدة مواسم متتالية يحدث محل وجفاف لمياه الآبار يؤدي إلى قحط ومجاعة، وقد حدث نزوح من المنطقة لهذا السبب في تواريخ تالية مثل ما حدث في سنة ١١٣٦هـ/ ١٧٢٤م.[١]

أما عن الجهة التي قصدها بنو عائذ بعد رحيلهم من سدير فلعلها منطقة الخرج، التي أصبح لهم شأن فيها في فترة لاحقة.

ب- نفوذ القوى الخارجية:

يعد إقليم البحرين[٢] أقرب المناطق إلى بلاد اليمامة، وأكثرها اتصالاً بها اقتصادياً وبشرياً وجغرافياً، وقد كان لهذا أثره على العلاقات السياسية بين الإقليمين منذ وقت مبكر، فقد كانا يجمعان غالباً تحت سلطة وال واحد عندما كانا ولايتين من ولايات الخلافة العباسية، وبعد ظهور الدول الإقليمية المستقلة فيهما استمرت هذه الصلة السياسية، وقد أشرنا في حديثنا عن الدولة الأخيضرية وعلاقاتها بالقوى المجاورة إلى أن دولة القرامطة التي قامت في إقليم البحرين تطلعت إلى بسط نفوذها على بلاد اليمامة منذ عهد مؤسسها أبي سعيد الجنابي، وكان لها ذلك فترة من الزمن.

وبعد سقوط دولة القرامطة سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥م على يد عبدالله بن علي العيوني، وبمساعدة الخلافة العباسية ممثلة في السلاجقة، ظهرت في البحرين الدولة العيونية، وأصبحت من أقوى الدول التي حكمت بلاد البحرين وأوسعها نفوذاً، وبخاصة في فترات وحدتها وقوتها، وقد استمرت في الحكم مدة قاربت مائة وسبعين عاماً (٤٦٧-٦٣٦هـ/ ١٠٧٥-١٢٣٩م)، وارتبطت بعلاقات جيدة مع الخلافة العباسية في معظم فترة حكمها.[٣]

وما يهمنا هنا صلتها بمنطقة الدراسة، والمعلومات عن هذا الأمر قليلة لا تعدو إشارات وردت في ديوان الشاعر علي بن المقرب العيوني الذي يعد أبرز مصدر لتاريخ هذه الدولة وأخبار حكامها. ومما جاء في ديوان ابن المقرب قوله في الفخر بأسرته الحاكمة وبيان مآثر حكامها:

---

(١) الفاخري، محمد بن عمر، (ت١٢٧٧هـ، ط د. ت)، **الأخبار النجدية**، تحقيق عبدالله بن يوسف الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر، الرياض، ص ص٩٨-٩٩.

(٢) إقليم البحرين يشمل المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية وقطر والبحرين والإمارات والكويت حالياً.

(٣) آل خليفة، عبدالله بن خالد؛ وأبا حسين، علي بن عبدالرحمن، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، **دولة العيونيين في البحرين**، الكتاب السنوي الأول، الأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص ص٤١-٧٢.

وهم ملكوا أكناف نجد وطأطأت لعزتهم بالشام عمرو وغسان[١]

وقوله:

كانوا جبالاً لنجد تستقر بها عند الزلازل إن جاحت وأركانا[٢]

وقوله:

وقمت بأحكام الشريعة واستوت لديك ذوي الأجبال طيء ووائل[٣]

وقوله مشيراً إلى غزو الأمير العيوني محمد بن أحمد بن أبي سنان لعرب بني مالك، وإلحاقه الهزيمة بهم على ماء الدجاني[٤] سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م، بعد أن أظهروا تمرداً على سلطته:

سلوا تخبروا من غير جهل لفعله بني مالك فالحر بالحق قائل

ألم يجلب الجرد العتاق شوازباً من الخط تتلوها المطايا المراسل

إلى أن أناخت بالدجاني بعدما براها السرى والأين فهي نواحل[٥]

كما أشار في مواضع أخرى من شعره إلى سعة امتداد نفوذ العيونيين. وعلى أي حال فهذه الإشارات تعطي دلالة على امتداد نفوذ العيونيين إلى بلاد نجد، وبخاصة في فترات حكم حكامهم الأقوياء مثل المؤسس عبدالله بن علي، وحفيده أبي سنان محمد بن الفضل، ومحمد بن أحمد بن أبي سنان.[٦]

ولكن يبدو أن حكم العيونيين في هذه المنطقة لم يصل إلى درجة الحكم المستقر المنظم كما هو الحال

---

(١) ابن المقرب العيوني، علي، (ت ٦٣٠هـ، ط ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، **ديوان ابن المقرب**، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، مكتبة التعاون الثقافي، الأحساء، ص٥٩٢.

(٢) المصدر السابق، ص٦٠٩.

(٣) المصدر السابق، ص٣٤٣.

(٤) الدجاني: ماء معروف شمال غربي الدهناء، في العرمة قرب القاعية، وهو يتبع إدارياً لمحافظة المجمعة. (ابن خميس، عبدالله، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، مرجع سابق، ج١، ص٤١٠).

(٥) ابن المقرب العيوني، علي، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، مصدر سابق، ص٣٥٤.

(٦) انظر: ابن عبدالقادر، محمد بن عبدالله، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، **تحفة المستفيد في تاريخ الأحساء القديم والجديد**، مكتبة المعارف، الرياض، ومكتبة الأحساء الأهلية، الأحساء، ق١، ص١٠٤.

في بلاد البحرين، وإنما مجرد إظهار نوع من التبعية من قبل القوى المحلية الموجودة في تلك الآونة، وأغلبها قوى قبلية.

وفي مطلع القرن السابع الهجري ضعفت الدولة العيونية نتيجة الخلافات والانقسامات الداخلية، وكان بنو عامر[١] يمثلون أكبر القوى في المنطقة في ذلك التاريخ، وفي فترة الدولة العيونية كانوا خاضعين لنفوذها ويعملون تحت لوائها، وعندما ضعفت استغل زعيم بني عامر، عصفور بن راشد بن عميرة ذلك واستولى على مقاليد الأمور في بلاد البحرين، وبذلك ظهرت دولة جديدة عرفت بالدولة العصفورية، حكمت بلاد البحرين من سنة ٦٣٦هـ/ ١٢٣٩م حتى سنة ٧٨٥هـ تقريباً/ ١٣٨٣م.[٢]

والمعلومات عن الدولة العصفورية قليلة، وإمعان النظر فيها ينبئ بأن هذه الدولة لم تكن على درجة من التنظيم كسابقتها الدولة العيونية، أو الدولة الجبرية التي حكمت بعدها، بل هي في واقع الأمر في وضع بين الزعامة القبلية والدولة المنظمة، ويبدو أن غلبة الطابع البدوي على بني عامر كان السبب في هذا الأمر.

ومهما يكن الأمر فقد حدثت تغيرات كبيرة في العالم الإسلامي في تلك الأثناء، يحسن أن نشير بإيجاز إلى انعكاسها الرسمي على بلاد اليمامة والبحرين. فقد سقطت الخلافة العباسية في بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م كما هو معلوم. إثر ذلك أصبحت زعامة قسم كبير من بلاد العالم الإسلامي بيد دولة المماليك التي تعمل باسم الخلافة العباسية الجديدة التي أقامتها في مصر. ويبدو أن نظرة المماليك لبلاد البحرين واليمامة كانت تختلف عن نظرة الخلافة العباسية في بغداد، فالخلافة العباسية كانت ترى أن بلاد اليمامة والبحرين وغيرها من أقاليم الجزيرة العربية من البلاد التابعة لسلطة

---

(١) تكاد تجمع المصادر على أن بني عامر ينتسبون إلى بني عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وكانوا يقطنون جنوب بلاد اليمامة، ونسب إليهم وادي العقيق (وادي الدواسر) فعرف بعقيق عُقيل فترة من الزمن. وقد تحدثنا عنهم في مطلع هذا البحث عند الإشارة إلى سكان المنطقة خلال القرن الثالث الهجري، وفي أواخر القرن الثالث أو مطلع القرن الرابع نزحوا إلى البحرين، ومنذ ذلك التاريخ أصبح لهم شأن كبير في هذا الإقليم. (الحميدان، عبداللطيف بن ناصر، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية، **مجلة الوثيقة**، العدد الثالث، السنة الثانية، البحرين، ص٣٢).

٢) المرجع السابق، ص٦٦. وهناك من يرى أن الدولة العصفورية سقطت قبيل منتصف القرن الثامن، ويبدو أنها ضعفت كثيراً في ذلك التاريخ، وخرجت من يدها أجزاء كبيرة من بلاد البحرين.

الخلافة من الناحية الرسمية، رغم أن بعضها لم يكن تابعاً للخلافة من الناحية الواقعية، وترى أن القوى التي استقلت بهذه الأقاليم قوى متمردة على سلطة الخلافة.

أما دولة المماليك فقد كانت نظرتها تختلف عن ذلك، فقد قسم القلقشندي أقطار الجزيرة العربية إلى قسمين: قسم عده من مضافات الديار المصرية وهو الحجاز، أما القسم الآخر الذي يضم اليمامة والبحرين واليمن فعده من الممالك الخارجة عن مضافات الديار المصرية،[١] وعندما تحدث عن بلاد اليمامة قال: "وممَّا هو خارج من جزيرة العرب عن مضافات الديار المصرية اليمامة".[٢]

والقلقشندي كان من كبار كتاب ديوان الإنشاء في دولة المماليك، وهذا الديوان يعد بمثابة وزارة الخارجية في تنظيمات الدول الحديثة، وقوله هذا يعكس وجهة النظر الرسمية للدولة. والخلاصة أن بلاد اليمامة والبحرين منذ سقوط بغداد أصبحت من الناحية الرسمية والواقعية خارج إطار السلطة المركزية في العالم الإسلامي الممثلة في دولة المماليك.

أما عن نفوذ الدولة العصفورية في بلاد اليمامة، فإن ابن سعيد المغربي، وهو من المعاصرين لتلك الفترة، أورد ما يؤكد امتداد نفوذهم إلى هذه البلاد، ومن ذلك قوله في حديثه عن بني عامر: "وملكوا أرض اليمامة من بني كلاب، وكان ملكهم فيها لعهد الخمسين والستمائة عصفور وبنوه".[٣] وقوله أيضاً: "بين القطيف واليمامة مجالات بني عامر، ولم يبق معهم لأحد من العرب عز في بلاد اليمامة والبحرين، ومنهم الآن ملوك الصقعين".[٤]

ويلاحظ أن ما ذكره ابن سعيد المغربي، ثم نقله عنه من جاء بعده من المؤرخين مثل ابن فضل الله العمري، وابن خلدون، والقلقشندي، يصور ما كان سائداً في النصف الثاني من القرن السابع الهجري في فترة قوة بني عامر، بيد أن نفوذهم في بلاد اليمامة أخذ يتقلص بعد ذلك حتى تلاشى في مطلع القرن

(١) القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت٨٢١هـ، ط د. ت)، مصدر سابق، ج٥، ص٥.

(٢) المصدر السابق، ج٥، ص٥٨.

(٣) ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت٨٠٨هـ، ط ١٩٧٩م)، مصدر سابق، ج٢، ص٣١٣؛ ج٦، ص١٢؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت٨٢١هـ، ط١٩٨٠م)، مصدر سابق، ص٣٣.

(٤) ابن سعيد المغربي، علي بن موسى، (ت٦٨٥هـ، ط١٩٧٠م)، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت، ص١١٨.

الثامن، بعد أن انشغلوا بمصارعة قوى أخرى ظهرت في بلاد البحرين وأخذت تنافسهم على السلطة والزعامة فيها.

وفي منتصف القرن الثامن الهجري وبالتحديد في سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م حسب ما ذكر المقريزي،[١] تمكن جروان المالكي[٢] من الاستيلاء على قسم كبير من بلاد البحرين وأسس ما عرف بالدولة الجروانية، وقد استمرت هذه الدولة حتى قضى عليها الجبريون قبيل منتصف القرن التاسع.

ولا تتوافر لدينا معلومات عن امتداد نفوذ الجروانيين إلى بلاد اليمامة، ونرجح أن نفوذهم لم يمتد إليها، وأنهم كانوا قوة إقليمية محدودة لم يتجاوز نفوذها بلاد البحرين.

---

(١) المقريزي، أحمد بن علي، (ت٨٤٥هـ، ط١٩٩٢م)، **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، ج١، تحقيق محمد كمال عز الدين، عالم الكتب، بيروت، ص١٢٨. وقد ورد تاريخ استيلاء جروان على الحكم عند ابن حجر سنة ٧٠٥هـ (الدرر الكامنة، ج١، ص٧٥). وقد أثار هذا لبساً عند المهتمين بتاريخ المنطقة، وواضح أن ابن حجر نقل عن المقريزي، ولكن وقع خطأ في التاريخ، والصواب ما جاء عند المقريزي.

(٢) الراجح في نسب بني جروان أنهم من بني مالك بن عامر بن الحارث من بني عبد قيس، فالنسبة هنا إلى الجد لا إلى المذهب، أما مذهبهم فهم شيعة روافض. (ابن عقيل الظاهري، أبو عبدالرحمن، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، مرجع سابق، ج١، ص ص١٩٢-١٩٢).

obeikan.com

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، (ت٣٥٦هـ، ط د. ت)، **مقاتل الطالبيين**، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعرفة بيروت.

الأصفهاني، الحسن بن عبدالله، (توفي نحو ٣١٠هـ، ط١٣٨٨هـ)، **بلاد العرب**، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي، دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض.

ابن الأثير، علي بن محمد، (ت٦٣٠هـ، ط١٩٧٩م)، **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ، ط١٣٥٧هـ)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.

ابن المقرب العيوني، علي، (ت ٦٣٠هـ، ط ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، **ديوان ابن المقرب**، تحقيق عبدالفتاح محمد الحلو، مكتبة التعاون الثقافي، الأحساء.

ابن بطوطة، محمد بن إبراهيم، (ت ٧٧٩هـ، ط د. ت)، **رحلة ابن بطوطة**، دار صادر، بيروت.

ابن حجر، أحمد بن علي، (ت٨٥٢هـ، ط د. ت)، **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**، دار الجيل، بيروت.

ابن حزم، محمد بن علي بن أحمد، (ت٤٥٦هـ، ط١٩٧٧م)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة.

ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي، (ت بعد ٣٦٧هـ، ط١٩٧٩م)، **صورة الأرض**، منشورات مكتبة الحياة، بيروت.

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، (ت٨٠٨هـ، ط ١٩٧٩م)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (تاريخ بن خلدون)**، دار البيان، بيروت.

openkan.com

ابن سعيد المغربي، علي بن موسى، (ت٦٨٥هـ، ط١٩٧٠م)، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق إسماعيل العربي، بيروت.

ابن طباطبا، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقا، (ت٧٠٩هـ، ط د. ت)، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، دار صادر، بيروت.

ابن عنبة الحسني، أحمد بن علي، (ت٨٢٨هـ، ط د. ت)، **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب**، ضمن مجموعة الرسائل الكمالية، مكتبة المعارف، الطائف.

ابن كثير، الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر، (ت٧٧٤هـ، ط١٩٦٦م) **البداية والنهاية**، ج١١، مكتبة المعارف، بيروت، ومكتبة النصر، الرياض.

ابن لعبون، حمد بن محمد، (ت بعد ١٢٥٥هـ، ط١٤٠٨هـ)، **تاريخ حمد بن محمد بن لعبون**، مكتبة المعارف، الطائف.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت٧١١هـ، ط د. ت)، **لسان العرب**، ج٤، دار صادر، بيروت.

أبو الفداء، الملك المؤيد إسماعيل بن علي، (٧٣٢هـ، ط د. ت.)، **المختصر في أخبار البشر**، دار المعرفة، بيروت.

البكري، أبو عبيد، (ت٤٨٧هـ، ط١٣٩٧هـ)، **جزيرة العرب، من كتاب المسالك والممالك**، تحقيق عبدالله يوسف الغنيم، ذات السلاسل، الكويت.

الجعدي، عمر بن علي، (ت بعد ٥٨٦هـ، ط د. ت)، **طبقات فقهاء اليمن**، تحقيق فؤاد سيد، دار القلم، بيروت.

الحربي، إبراهيم بن إسحق، (ت٢٨٥هـ، ط١٩٨١م)، **كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض.

الحموي، ياقوت، (ت٦٢٦هـ، ط١٣٦٧هـ)، **معجم البلدان**، دار إحياء التراث، بيروت.

obeikan.com

الحميري، نشوان بن سعيد، (ت٥٧٣هـ، ط د. ت)، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تحقيق عبدالله الجرافي اليمني، عالم الكتب، بيروت، ج١.

خسرو، ناصر، (ت القرن الخامس الهجري، ط١٩٨٣هـ)، **سفرنامة، (رحلة ناصر خسرو)**، ترجمة يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت.

الدينوري، أبو حنيفة أحمد، (ت٢٨٢هـ، ط١٣٨٠هـ)، **الأخبار الطوال**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة.

السخاوي، محمد بن عبدالرحمن، (ت٩٠٢هـ، ط١٩٧٩م)، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، مطبعة دار نشر الثقافة، القاهرة.

الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم، (ت٥٤٨هـ، ط١٩٨٠م)، **الملل والنحل**، ج١، تحقيق محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

الطبري، محمد بن جرير، (٣١٠هـ، ط١٩٧٩م)، **تاريخ الأمم والملوك**، ج١١، دار القلم، بيروت.

العمري، أحمد بن يحيى، (ت٧٤٩هـ، ط١٩٨٥م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق دوروتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت.

الفاخري، محمد بن عمر، (ت١٢٧٧هـ، ط د. ت)، **الأخبار النجدية**، تحقيق عبدالله بن يوسف الشبل، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر، الرياض.

الفاسي، محمد بن أحمد، (ت٨٣٢هـ، ط١٩٦٤م)، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة السُّنّة المحمدية، القاهرة.

الفاسي، محمد بن أحمد، (ت٨٣٢هـ، ط١٩٨٥م)، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت.

القاضي النعمان، (ت بعد ٣٤٦هـ، ط١٩٨٦م)، **افتتاح الدعوة**، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس.

obeikan.com

القرطبي، عريب بن سعد، (ت٣٦٩هـ، ط١٩٧٩م)، **صلة تاريخ الطبري**، طبع ملحقاً بتاريخ الطبري، ج١٢، دار القلم، بيروت.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت٨٢١هـ، ط د. ت)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج٥، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت٨٢١هـ، ط١٩٦٣م)، **قلائد الجمان في التعريف بعرب الزمان**، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتب الحديثة، القاهرة.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، (ت٨٢١هـ، ط١٩٨٠م)، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

الكتبي، محمد بن شاكر، (ت٧٦٤هـ، ط د. ت)، **فوات الوفيات والذيل عليها**، ج٣، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

المسعودي، (ت٣٤٦هـ، ط١٣٨٤هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

المسعودي، علي بن الحسين، (ت٣٤٦هـ، ط١٩٨١م)، **التنبيه والإشراف**، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

مسكويه، أحمد بن علي (ت٤٢١هـ، ط د. ت)، **تجارب الأمم**، ج١، مكتبة المثنى، بغداد.

المقدسي، محمد بن أحمد، (ت ٣٨٠هـ، ط١٩٨٧م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، تحقيق محمد مخزوم، دار إحياء التراث، بيروت.

المقريزي، أحمد بن علي، (ت٨٤٥هـ، ط١٩٩٢م)، **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، ج١، تحقيق محمد كمال عز الدين، عالم الكتب، بيروت.

النويري، أحمد بن عبدالوهاب، (ت٧٣٣هـ، ط١٩٨٠م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج٢٣، تحقيق أحمد كمال زكي ومحمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

الهمداني، الحسن بن أحمد، (ت٣٤٤هـ، ط١٩٨٣م)، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع، ط٣، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء؛ ودار الآداب، بيروت.

obeikan.com

الهمذاني، عبدالجبار بن أحمد، (ت ٤١٥هـ، ط١٩٦٦م)، **تثبيت دلائل النبوة**، ج٢، تحقيق عبدالكريم عثمان، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت.

اليماني، يحيى بن الحسين بن القاسم، (ت١١٠٠هـ، ط١٩٦٨م)، **غاية الأماني في أخبار القطر اليماني**، تحقيق سعيد عاشور ومصطفى محمد زيادة، دار الكاتب العربي، القاهرة.

ثانياً: المراجع:

أحمد، حسن خضيري، **قيام الدولة الزيدية في اليمن**، مكتبة مدبولي، القاهرة.

ابن بليهد، محمد بن عبدالله، (١٣٩٢هـ)، **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار**.

ابن جنيدل، سعد بن عبدالله، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، **عالية نجد**، دار اليمامة، الرياض.

ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، **معجم اليمامة**، مطابع الفرزدق، الرياض.

ابن خميس، عبدالله بن محمد، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، **تاريخ اليمامة**، مطابع الفرزدق، الرياض.

ابن خميس، عبدالله، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م).

ابن عبدالقادر، محمد بن عبدالله، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، **تحفة المستفيد في تاريخ الأحساء القديم والجديد**، مكتبة المعارف، الرياض، ومكتبة الأحساء الأهلية، الأحساء.

ابن عقيل الظاهري، أبو عبدالرحمن، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، **أنساب الأسر الحاكمة في الأحساء**، دار اليمامة للنشر، الرياض.

ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، (ت١٣٤٣هـ، ط١٩٦٦م)، **تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد**، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

بدر، عبدالباسط، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، **التاريخ الشامل للمدينة المنورة**.

الجار الله، عبدالعزيز بن جار الله، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، **الاستيطان والآثار الإسلامية في منطقة القصيم**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.

الجاسر، حمد، (أ١٣٨٦هـ)، **مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ**، ط١، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

obeikan.com

الجاسر، حمد، (١٣٨٨هـ) **أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع**، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الجاسر، حمد، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، **جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد**، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الجاسر، حمد، (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، **باهلة القبيلة المفترى عليها**، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الجاسر، حمد، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، **ابن عربي موطد الحكم الأموي في نجد**، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الجذالين، عبدالله بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، **تاريخ الأفلاج وحضارتها**، الرياض.

حسن، إبراهيم حسن، (١٩٨١م)، **تاريخ الدولة الفاطمية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

الحقيل، حمد بن إبراهيم، (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، **كنز الأنساب ومجمع الآداب**، مطابع النهضة، الرياض.

خزعل، حسين خلف، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، **حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

الدريهم، سعد بن عبدالرحمن، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، الخرج، **سلسلة هذه بلادنا**، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

الدوسري، شعيب بن عبدالحميد، (١٣٦٥هـ)، (منسوب له)، **إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر**، مطبعة الحلبي، القاهرة.

الرشيد، منصور بن عبدالعزيز، **أوراق مطوية من تراث الجزيرة العربية**، (مخطوط).

الزامل، ناصر بن فوزان، (١٤٠٣هـ)، **قرامطة البحرين دعوتهم ودولتهم**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

obeikan.com

السالمي، عبدالله بن حميد، (١٩٧٤م)، **تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان**، ج١، الكويت.

السبيعي، إبراهيم، (١٤٠٧هـ)، **الجغرافيا التاريخية لمنطقة الرياض من خلال معجم البلدان**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

سرور، محمد جمال الدين، (د. ت)، **النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب**، دار الفكر العربي، القاهرة.

السويداء، عبدالرحمن بن زيد، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، **الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد**، ج١، دار السويداء للنشر والتوزيع، الرياض.

سيد، أيمن فؤاد، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، **تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن الخامس الهجري**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

الشبل، عبدالله بن يوسف، (د. ت)، مقدمة تحقيقه لكتاب **الأخبار النجدية** لمحمد بن عمر الفاخري، لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ص١٩.

الشبل، عبدالله بن يوسف، (د. ت.)، مقدمة تحقيق كتاب **الأخبار النجدية للفاخري**، لجنة البحوث والتأليف والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ص ص ١٩-٤٤.

الشويعر، محمد، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، **نجد قبل ٢٥٠ عاماً**، مكتبة النخيل، الرياض.

صبري باشا، أيوب، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، **مرآة الحرمين**، ترجمة أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسي، دار الرياض للنشر، ج١، الرياض.

العبيد، عبدالرحمن بن عبدالكريم، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، **الموسوعة الجغرافية لشرقي المملكة العربية السعودية**، ج٢، نادي المنطقة الشرقية الأدبي، الدمام.

العجلاني، منير، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، **تاريخ البلاد السعودية**، الجزء الأول، الدولة السعودية الأولى، القسم الأول.

obeikan.com

العريني، عبدالرحمن بن علي، (١٤٠٣هـ)، **الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد وأثر الدعوة السلفية فيها منذ القرن العاشر الهجري حتى سقوط الدرعية**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

غليس، أشواق أحمد، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، **التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية**، مكتبة مدبولي، القاهرة.

الغنيم، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، **جزيرة العرب من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري**، تحقيق ودراسة، ذات السلاسل، الكويت.

الفقي، عصام الدين عبدالرؤوف، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، **اليمن في ظل الإسلام**، دار الفكر العربي، القاهرة.

الكليب، فهد بن عبدالعزيز، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، الرياض، **سلسلة هذه بلادنا**، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض.

كحالة، عمر رضا، (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، مؤسسة الرسالة، بيروت.

محمود، حسن أحمد؛ والشريف، أحمد إبراهيم، (١٩٧٧م)، **العالم الإسلامي في العصر العباسي**، دار الفكر العربي، القاهرة.

مهدي، علي محمد، (١٩٦٩م)، **الأخيضر**، مديرية الآثار العامة، بغداد.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة**، الرياض.

الوشمي، صالح بن سليمان، (١٤١٢هـ)، **ولاية اليمامة، دراسة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، الرياض.

الوشمي، صالح بن سليمان، (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، **الآثار الاجتماعية والاقتصادية لطريق الحج العراقي على منطقة القصيم**، مؤسسة الرسالة، بيروت.

obeikan.com

ثالثاً: البحوث والمقالات:

آل خليفة، عبدالله بن خالد؛ وأبا حسين، علي بن عبدالرحمن، (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، **دولة العيونيين في البحرين**، الكتاب السنوي الأول، الأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

ابن عقيل الظاهري، أبو عبدالرحمن، (١٤١٤هـ)، بلادنا والتاريخ المصنوع، **جريدة الجزيرة**، العدد ٧٦١٨، السبت ١٩/ ٢/ ١٤١٤هـ

ابن عقيل الظاهري، أبو عبدالرحمن، (١٤١٤هـ)، شعيب المفترى عليه، **جريدة الجزيرة**، العدد ٧٦١١، السبت ١٢/ ٢/ ١٤١٤هـ

ابن عقيل الظاهري، أبو عبدالرحمن، (١٤١٤هـ)، خرافات إمتاع السامر، **جريدة الجزيرة**، العدد ٧٦٠٤، السبت ٥/ ٢/ ١٤١٤هـ.

الجاسر، حمد، (ب١٣٨٦هـ)، اسحاق بن أبي حميضة، **مجلة العرب**، المجلد الأول، السنة الأولى، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الجاسر، حمد، (ج١٣٨٦هـ)، الحفصي وكتابه عن اليمامة، **مجلة العرب**، المجلد الأول، السنة الأولى.

الجاسر، حمد، (د١٣٨٦هـ)، حول اليمامة وولاتها، **مجلة العرب**، السنة الأولى (١٣٨٦هـ)، المجلد الأول.

الجاسر، حمد، (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، أسماء أحياء مدينة الرياض القديمة، **مجلة العرب**، السنة ٢٣، المجلد١١، ١٢، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

الحديثي، نزار عبداللطيف، (١٩٧٧م)، إمارة بني الأخيضر في اليمامة، **مجلة كلية الآداب**، جامعة بغداد، العدد ٢٢.

الحديثي، نزار عبداللطيف، (١٩٧٨م)، اليمامة في الإدارة العربية، **مجلة كلية الآداب**، جامعة بغداد، عدد ٢٣.

obeikan.com

الحميدان، عبداللطيف بن ناصر، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة العربية، **مجلة الوثيقة**، العدد الثالث، السنة الثانية، البحرين.

الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)، الدولة الأخيضرية، **مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

الشبل، عبدالله بن يوسف، (١٤٠٤هـ)، من مصادر تاريخ نجد، تاريخ ابن عباد دراسة وتحقيق، **مجلة مركز البحوث**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد الثاني، ص ٩٧.

الماجد، عبدالله، (١٣٨٨هـ)، الهيصمية حاضرة الأفلاج القديمة، **مجلة العرب**، المجلد الثاني، السنة الثانية.

ماسينيون، لويس، (١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م)، **بحث بدائرة المعارف الإسلامية**، ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرين.

الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، (١٤١٧هـ)، بحث بعنوان الرياض مدينة ذات جذور راسخة في قلب التاريخ، **تطوير**، عدد ١٩ محرم ١٤١٧هـ.

obeikan.com